صاحبها ورئيس تحريرها

مدحة عكاش

MADHAT AKKACHE



دمشق - ص ب (٢٥٧٠) هاتف ١٦٢٩١

تشرين اول ١٩٦٢

العدد الخامس

السنة الخامسة



أبقوا على المجلس ..!

بقلم : مدحة عكاش

ما كنا لنعتقد يوما ان المسؤولين في حكومتنا الرشيدة يقدمون على ما أقدموا عليه من تجميد المجلس الاعلى للفنون والآداب والتفكير في الغائه ٠

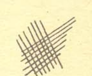
أجل ! نقول هذا ونحن الذين ما سكتنا مرةعن كل تقصير رأيناه في لجان المجلس كلها ولجنة الشعر خاصة ٠ ولان فسر بعض الفارغين نقدنا هذا أنه عداوة أدبية عرفت بين الادباء فهم على ضلال وأكثر منهم ضلالا اولئك الذين يعتقدون أننا نقر الغاء المجلس وهو الظاهرة الحضارية التي يعتز بها كل أديب عربي ٠ أما الذي لا ريب فيه اننا كناوسنبقى حربا - لا على المجلس - وانما على فئة من أعضائه نسيت المهمة المسندة اليهـا ، ونسيت المسئوليات الملقاة على عاتقها فلم تفعل شيئا ولم تقدم من الانتاج ما يتلاءم وامكانيات المجلس أو مايتفق مع الاهداف التي انشىء من أجلها ٠ ولا نود اليوم أن نعيد على مسامع هذه الفئة ما كنا نأخذه عليها من قبل فهي ادرى بما فعلت ، ولعلها وجدت اليوم نتيجة تقصيرها واهمالها ٠

أيها السادة المسؤولون ! اننا نضع المجلس اليوم أمانة في ايديكم ، وانا لنربأ بهذا العهد أن تشوه صفحته بالغاء مؤسسة هي منا مكان الاعتزاز والفخر وظاهرة كريمة في تقديس الفكر ٠ الا أن ذلك لم يمنعنا من المطالبة باعادة النظر في اعضاء المجلس ولجانه وطريقة الترشيح لعضويته بعد أن انقضى عهد التعيين ، فيكون بذلك بقاء على العاملين واستعاضة عن الذين خلدوا الى المنفعة والراحة بادباء اكثر فعالية واغزر انتاجا وأقوى على تحمل المسؤوليات التي عجز عـن تحملها غـيرهم من العاجزين ٠

مدحة عكاش

ابو علي القالي البغدادي

بقلم : الدكتور محسن جمال الدين



أطل القرن الرابع الهجري ، وكان الصراع الفكري والسياسي ، محتدما بين العباسيين وهم في (بغدادهم)، وبين الامويين وهم في (قرطبتهم) الناهضة .

وبدت طلائع هذا التصارع واضحة ، عندما اخذ الخلفاء الامويون هناك في – الاندلس – يمدون أيديهم الى ثروة الشرق الفكرية ، ويساعدون على اقتباس جمرات لاهبة ، من مواقد العراق المشتعلة ، ذكاء ، وفطنة ، ومعرفة !!

وسبيل حصولهم على تلك الاقباس والجمرات ، يعود الى ما اشتهر عنهم يومذاك من اغراء مادي وكرم وافر ، واحترام غزير . لكل من ناوأ العباسيين ، او فر من سلطانهم ، او قذفت به باخرة الحياة الى شواطئهم كي يوضحوا للناس بأنهم الاهل ، لكل لاجىء ، والسند لكل محتاج ، والمولى لكل تابع ، والموطن لكل عالم !!

وهذه السياسة المقصودة ارادوا بها أن يحولوا الانظار والافكار عن منزلة (بغداد) الثقافية والسياسية ، والاندية الثقافية ، والمجامع العلمية ، التي تحاول الغمز ، وتتعمد النقد لوضع العراق ، وساسته العباسيين وقد ربحت معركتهم الفكرية لشخصيات متعددة منهم : زرياب المغني – وابن زريق البغدادي(١) وصاعد الموصلي .

ونقف الآن عند شخصية هذا المفكر النير ، والعالم المتبحر ، والرجل المبدع الذي استطاع أن يثبت مكانته ، في هوج الرياح ، وعالم السياسة الاندلسية المضطربة ، وان يتغلب على خصومه ، ومناوئيه . وهو لا يزال لم ينفض عنه غبار الطريق ، واستمرت تلك المنافسة بينه وبين معارضيه ، وحتى اتباعه وتلامذته في الخفاء . وكادت ترجعه الى (بغداد) لولا أن صمد لها بغزارة علمه ، وعمق ثقافته وقوة حجته ، وسعة اطلاعه !!

شخصيته العلمية

ابو علي اسماعيل بن القاسم بن عبدون بن هرون ابن عيسى بن محمد ابن سليمان السقالي البغدادي . ولد حسب ما رواه ابن خلكان عام ٢٨٨ هـ ، المصادف ٩٠١ م في قرية تسمى (منازجرد) على الفرات الشرقي بقرب بحيرة (وان) من ديار بكر . ثم رحل الى الموصل ومنها الى بغداد عام ٣٠٣ هـ حيث اقام فيها ٢٥ عاما وفي عام ٣٢٨ رحل الى المغرب ودخل قرطبة عام ٣٣٠ هـ .

وقد سأله تلميذه العالم ابو بكر محمد بن الحسن الزبيدي صاحب (مختصر العين) عن معنى (السقالي) فاجاب تلميذه قائلا : لما انحدرنا الى بغداد ، كنا في رفقة كان فيها أهل (قالي – قلا) وهي قرية من قرى منازجرد ، وكانوا يكرمون لمكانتهم في الشعر ، فلما دخلت بغداد ، نسبت اليهم ، لكوني معهم وثبت ذلك علي(٢)

اساتذته ومعلموه

تتلمذ على نخبة من الاساتذة المعروفين في اختصاصهم العلمي ، والذين لا زالت آثارهم واسماؤهم تتردد في أندية العلم والمعارف . حتى هذه الساعة . وهم حسب ما اختصوا به ، وتلقى عنهم :

آ – اساتذة الحديث ، واشهرهم :

١) عبد الله بن محمد البغوي المتوفي عام ٣١٧ هـ
٢) وابو سعيد الحسن بن فر العدوي ت / عام ٣١٩ هـ
٣) وابو بكر عبد الله بن الاشعث السجستاني ت/ عام ٣١٦ هـ
٤) وابو محمد يحيى بن صاعد . ت/ عام ٣١٧هـ
٥) ويوسف بن يعقوب القاضي ت/ عام ٢٩٧هـ
٦) والحسين بن اسماعيل المحاملي ت/ عام ٣٠٣هـ
٧) وابو بكر بن مجاهد المقري ت/ عام ٣٢٤ هـ

ب – اساتذة النحو والادب – واشهرهم :

١) ابن درستويه ت/ عام ٣٤٧ هـ
٢) الزجاج ت/ عام ٣١١ هـ

(١) راجع ماكتبناه في (العرفان) عن زرياب ، وابن زريق في مجلدات ١٩٥٦ – ١٩٥٨

(٢) بغية الملتمس للضبي B. A. H. نشر قديره رقم ٥٤٧ ص ٢١٦ وقال (صاحب الاعلام) ج ١ ط ٢ ص ٣١٩ ، بان البيزنطيين كانوا يسمونها Theodosiupolis

٣) الاخفش الصغير ت/ ٣١٥ هـ
٤) نفطويه ت/ ٣٢٣ هـ
٥) ابن دريد ت/ عام ٣٢١ هـ
٦) وابن السراج ت/ عام ٣١٦ هـ
٧) الانباري ت/ عام ٣٢٨ هـ
٨) ابن ابي الازهر ت/ عام ٣٢٥ هـ
٩) ابن سفير ت/ عام ٣١٧ هـ
١٠) والمطرز ت/ عام ٣٤٥ هـ
١١) وجحظه ت/ عام ٣٢٦ هـ
١٢) ابن قتيبة ت/ عام ٣٢٢ هـ

جامعته ومحاضراته

أستقبل (أبو علي القالي) البغدادي استقبالا يليق بمنزلته العلمية في عهد (عبد الرحمن الناصر) ٣٠٠ هـ ـ ٣٥٠ وابنه الحكم ٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ ٠ الذي دعاه واحبه واحترمه وشجعه وجعل له ندوة في المسجد الجامع (بقرطبة) وفي مجالس قصور (الزهراء)٠ فالتف حول منبره الطلبة التي سمعت بمقدمه ، وعرفت له مكانته ، وشهرته وفضله ويعتبر الشيخ (ابو علي) أول استاذ رسمي في الاندلس يلقي محاضراته ويملي رواياته ويستشهد بأقواله وافعاله ويعتمد على آرائه في النحو واللغة والادب ٠ في (جامعة قرطبة) ٠ منذ دخوله سنة ٣٣٠ هـ ـ حتى وفاته سنة ٣٥٦ هـ ٠

وكان (القالي) يمثل في أفكاره ومناقشاته المدرسة البصرية في اللغة التي تأثر بها يوم تتلمذ في بغداد واقام بها سنين طويلة ٠

ان الملاحظ في مؤلفات (البغدادي) كالاماني والنوادر وغيرها هو انه حصرها في الافكار والاراء الشرقية والمدارس النحوية ٠ والبصرية ـ والكوفية ـ والبغدادية ـ وهذا يعطينا مثلا على ان الفكر الاندلسي في شؤون اللغة والادب لم يكن متبلورا واضح المعالم في حينه كما يؤثر في ادب القالي ، او ينعكس في مؤلفاته ٠ وجاراه في ذلك صاحب (العقد الفريد) ابن عبد ربه الاندلسي ٠

قال العلامة المستشرق المعروف (بروكلن) في تاريخه : وفي سنة ٩٤٢ م عرفت (قرطبة) فقه اللغة على يد ابي علي القالي(٣)

ان محاضرات ودروس الشيخ أبي علي البغدادي ، امتازت بطرافتها ، واسلوبها المرن وبعمقها ، وطرق مناقشاتها ، وهذا ما يرى واضحا في تآليفه وآثاره وما

(٣) بروكلن ـ تاريخ الشعوب الاسلامية ط ١ ٠ ج/٢ ص/١٦١

نقله عنه تلاميذه واتباعه ٠ وقد الف احد مريديه (أبو محمد الفهري) كتابا قيما في رواياته ودخوله الاندلس ـ وذكر العالم الاسباني المستشرق أنخيل بلانسيه ـ في مؤلفه (الفكر الاندلسي) قوله متحدثا عن عهد الحكم بن الناصر سنة ٣٥٠ ـ ٣٦٦ هـ ٠ ٩٥٦ ـ ٩٦١م : وعليه وفد العالم المشرقي النابه أبو علي القالي ، وكان رجلا فذا ، ذا اثر ملحوظ فيمن عاصره ، او جاء بعد اهل الاندلس ٠(٤)

تلامذته

كان لابي علي القالي مدرسة ونهج خاصان به ، وقد تتلمذ على يديه وسمع منه عدة من شيوخ الادب والعلم والرواية في الاندلس حتى أن الانسان ليجد الوفرة المتزاحمة في طيات كتب ومؤلفات الاندلسين التي لا تخلوا منها عبارة : « روى او سمع عن ابي علي القالي » !!

وأهم من قرأ عليه وسمع منه هم :

١) الشيخ العلامة ابو بكر الزبيدي النحوي ٠ محمد بن الحسن صاحب « مختصر كتاب العين » المتوفى سنة ٣٨٠ هـ ٠

٢) وثانيهما الشاعر المشهور الذي كان يسمى الشاعر الاندلسي ابو عمر يوسف بن هرون الرمادي المتوفى سنة ٤٠٣ هـ

وقد استقبله بقصيدة يمدحه بها عند دخوله قال منها :

روض تعاهده السحاب كأنه
متعاهد من عهد « اسماعيل »
فالشرق خال بعد فكأنما
نزل الخراب بربعه المأهول
وكأنه شمس بدت في غربنا
وتغيب عن شرقهم بأفول

٣) وممن سمع عنه ايضا ابو محمد عبد الله بن الربيع الشحيحي ٠

٤) واحمد بن أبان بن سيد ٠

آثاره ومؤلفاته

لهذا النابغة العراقي (البغدادي مؤلفات جمة اعتمدت عليها الاندلس في دراسة اللغة والادب والرواية منها :

(٤) الفكر الاندلسي ـ ط ١ ترجمة الدكتور حسين مؤنس ص/٦٠

١) كتاب النوادر ٠
٢) كتاب ذيل النوادر (اربعة اجزاء)
٣) فعلت وافعلت ٠
٤) أفعل من كذا
٥) المقصور والممدود والمهموز (عشرة اجزاء) ٠
٦) البارع في اللغة ٠
٧) الابل ونتاجهاوجميع احوالها (خمسةاجزاء)
٨) حلى الانسان والخيل وشياتها ٠
٩) مقاتل الفرسان ٠

١٠) كتاب تفسير القصائد والمعلقات ، وتفسير اعرابها ومعانيها ٠
١١) الامثال(٥)

وقد ألف ابو عبيد البكري كتابين اسماهما «التنبيه على أوهام ابي على البغدادي » وكتاب « اللآلي في شرح الامالي » ٠

ما حمله القالي للاندلس

أفرد ابن خير الاشبيلي صاحب (فهرسة شيوخه) سردا باسماء المؤلفات التي جلبها أبو علي البغدادي الى الاندلس منها :

٢٨ جزءا من اخبار نفطويه
٥ جزءا من اخبار الانباري
٧ جزءا من اخبار ابن ابي زهر ٠
٥٨ جزءا من اخبار ابن دريد
٢ جزءا من اخبار الاخفش
١ جزءا من المدخل للمبرد
١ جزءا المهذب للدنيوري
١ جزءا البهي ــ للفرا
١ جزءا الالف واملام ــ للمازني
١ جزءا الضيفان ــ لثعلب
٧ جزءا العروض لابن درستوته
١ السرج واللجام لابن دريد ٠

وقد ألقى الشيخ (ابو علي) على طلبته محاضرات قيمة عن شعر الشعراء الذين عاصرهم او من سبقوه بعصور خوالي ــ كانت تدور مواضيعها عن :

١) شعر ذي الرمة
٢) شعر الخنساء
٣) شعر الحطيئه
٣) شعر زهير بن ابي سلمى
٥) شعر النابغة الذبياني
٦) شعر حاتم الطائي
٧) شعر طرفة بن العبد
٨) شعر حسان بن ثابت
٩) شعر الاغشى
١٠) شعر عروة بن الورد
١١) شعر عدي بن زيد
١٢) شعر الطرماح
١٣) شعر جميل بثينة وعمر بن ابي ربيعة
١٤) شعر أبي نؤاس

وغير هؤلاء من شعراء جاهليين ، واسلاميين ، وبعض من عاصرهم في العصر العباسي ٠

لمحات عن حياته

الادب الجم ، اتساع العلم ، جمال المداعبة ، امتداد الصبر ، لطافة المزاج ، حسن المعاشرة ، هي من صفات الشيخ ابي علي رحمه الله ٠ انحن نثبت بعض الالتفاتات واللمحات المشعة من حياة شيخنا البغدادي ٠ تاركين حكايته مع (الشيخ ابن رفاعة الالبيري) ٠ عندما دخل عالمنا الاندلس لاول مرة ومحاولة الشيخ الالبيري في اصلاح بيت من الشعر كان انشده ابو علي ٠

والموقف الثاني يوم وفود رسول ملك الروم لعبد الرحمن الناصر وقيام القالي بخطبة الترحيب وعيه وتوقفه وظهور شخصية الخطيب (منذر بن سعيد البلوطي) ، سنة ٢٧٣ هـ ٣٥٥ كل هذا تركناه نظرا لما في ذلك من بعض التحامل والنقد الجارح وروح الاقليمية وحب الذات ٠ اما تلك اللمحات فمنها ما يشير لنا عن حرصه للعلم وآثاره ٠ ومنها ما يدل على لطفه ، وعلو منزلته وسرعة بديهته وشاعريته الفياضة بالاضافة الى اسلوبه اللغوي المتين ٠

يحكى أنه كان في يده نسخة من (الجمهرة) بخط مؤلفها فاعطى بها ثلاثمائة مثقال فضن بها أن يبيعها ، ثم اشتدت عليه الحاجة يوما فاضطر الى بيعها ثم اشتدت عليه الحاجة يوما فاضطر الى بيعها باربعين مثقالا وكتب عليها :

آنست بها عشرين عاما فبعتها
وقد طال وجداني بها وحنيني

وما كان ظني انني سأبيعها
ولو خلدتني في السجون ديوني

(٥) راجع فهرسة ابن خير الاشبيلي ــ ومقدمة كتاب الامالي طبعة مصر

ولكن لعجز وافتقار وصبية
صغار عليهم تستهل نتوني

فقلت ولم املك سوابق عبرة
مقالة مكوى الفؤاد حزين

وقد تخرج الحاجات يا ام مالك
كرائم من رب بها ضنين(٦)

وذكر (الحميدي) في كتابه (تاريخ الاندلس) قال :

أخبرنا القاضي ابو الحكم منذر بن سعيد البلوطي قال كتبت الى أبي علي البغدادي القالي · استعير منه كتابا من الغريب وقلت :

بحق ريم مهفهف	وصدغه المتعطف
ابعث الي بجزء	من الغريب المصنف

قال فقضى حاجتي واجابني :

وحق در تألف	بغيك أي تألف
لأبعثن بما قد	حوى الغريب المصنف
ولو بغتت بنفسي	اليك ماكنت أسرف(٧)

ومما ذكره تلميذه هرون بن موسى بن صالح القيسي المتوفى سنة ٤٠١ وقصة الدالة على صبره لطلب العلم وتشجيعه لتلامذته وانشاده لهم مخاطبا ابا نصر هرون بن موسى تلميذه(٨)

دببت للمجد والساعون قد بلغوا
جهد النفوس وألغوا دونه الازرا

فكابدوا المجد حتى مل اكثرهم
وعانق المجد من اوفى ومن صبرا

لا تحسب المجد ثمرا انت آكله
لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

ولتقف معي بضع دقائق لنفكر مليا بمصير الاندلس الدامي ، وتلك الارواح الخالدة السابحة في عالمها السرمدي · ولتمشي معي في الخيال ، لزيارة (قرطبة) الحزينة ، التي كانت يوم أمس زاهية ، زهراء ، زاهرة ·!! ولنفتش معا عن ضريح (أبي علي البغدادي) ذلك العالم الذي هاجر من وطنه فمات غريبا · بعد أن غزا الاندلس بعلمه ومعارفه وشخصيته اذ توفي في شهر ربيع الاول سنة هـ · ليلة السبت · وصلى عليه ابو عبد الله الجبيري · ودفن بمقبرة متعة ظاهر قرطبة · وكتب على رخام قبره رحمه الله عليه :

صلوا لحد قبري بالطريق وودعوا
فليس لمن وارى التراب حبيب

ولا تدفونني بالعراء فربما
بكى ان رأى قبر الغريب غريب

واليوم فقد اصبحت معالم العروبة في اندلسنا الجميلة خيالا واطباقا بعد أن (تأسبنت) ديار العرب في تلك الديار · فما اجدر بنا الان ، أن نعيد الى اذهاننا بعض صورها الزاهية ، وبعض مظاهر حضارتها الدائمة · المتجيلبه برجالها الاكرمين الخالدين ، الذين لايخلو منهم حديث ، ولا تنسى لهم ذكريات ولا يهمل لهم تاريخ ، ولا يزين بسواهم كتاب ولا تطرب بغير أدبهم نفوس !!؟

وما أبعد البون بين حياة رجل عالم هادىء الطبع ، قوي الحجة ، طيب القلب ، سمح النفس ، غزير المادة · وجه حياته للعلم وخدمة الفضيلة ، بين دول كبيرة تغزو العالم بأساطيلها وجنودها ومعداتها · فتحول النور ظلاما ، والمحبة بغضا ، والخير شرا ·

اما ذلك النابغة الطيب ، فقد غزا الاندلس بنور علمه ، الذي كشف عن آفاق المحبة ، وبذور خيره ، التي أنبتت زهور المعرفة فيها ·

كلية الاداب – بغداد الدكتور محسن جمال الدين

اهم مصادر البحث :

١) المكتبة الاندلسية
٢) جذوة المقتبس
٣) الاعلام
٤) دائرة المعارف الاسلامية
٥) تاريخ اداب اللغة العربية
٦) نفح الطيب
٧) وفيات الاعيان
٨) بونس وبلانسيه
٩) الامالي
١٠) بروكلمن

(٦) راجع تاريخ آداب اللغة العربية لجماعة الغرير ص/٢٩٨

(٧) مقدمة الاقالي ٢ط /١٩٢٦ المقدمة حرف ، ف – دار الكتب المصرية

(٨) ايصلة لابن بشكوال – رقم / ١٣٢٧ ج ٢/ص ٥٩٥ مدريد ·

ذكريات من الفن البعيد!!

بقلم الدكتور جميل سلطان

ليس الذي حدثني بهذا الحديث رجلا ابتغى الشهرة فركب لها مطايا الدعاية والتضليل ، ولا كان ممن غمره الدهر فقبع في زوايا الاهمال والنسيان ، ولكنه كان ملء عين اصحابه ، وموضع الاجلال من اترابه ، لا لغناه ، وان كان جيد الحال غير وافر الثراء ولا لعلمه ، وقد كان على جانب منه غير متعمق فيه ، وكان ميله الى الدين والعربية والفلك اقرب ، ورغبته في التعرف الى المعارف الحديثة اكثر على ان الحياة قد صرفته الى الكفاح الشريف والعمل الناصب والرعاية لشؤون المسؤول عنهم ، فأحسن الرعاية وأدى الامانة كأحسن ما يصنع أب مسؤول .

كان حب القوم له ، فبي ما أحسب لتقواه التي لم يكن فيها تزمت ولا تعصب ، ولطيب قلبه الذي سلم من الحقد والكراهية والحسد ، ولبسط يده في الخير حتى لا تكاد تجد له شبيها : يخلع معطفه في الشتاء للمقرور الفقير ، وحذاءه للحافي المحتاج ، ويدخل البيت في شبه حذاء يستعيره من المسجد القريب ليصل به الى البيت ، بل ربما دخل المسجد فخلع نعليه ووضعهما في مدخله كأنما يغري المحتاج ان تمتد اليهما كفاه .

حدثني عنه شيخ طاعن في السن من اهل باب توما في دمشق قال : شهدته ذات يوم أمام بائع حلوى او شبهها ، وقد تحلق من حوله اطفال كانوا يلعبون ويتطلعون الى بضاعة البائع وفي عيونهم شهوة الشراء فكان يسأل كل طفل عما يريد ويشير الى البائع ان يعطيه ما يهوى . قال الشيخ الطاعن في السن : فوقفت بعيدا منه انظر ما يصنع حتى اذا اخذ كل طفل ما يشتهي وانصرف الى شأنه التفت الرجل الى البائع ينقده ثمن ما اعطى فتقدمت اليه وقلت له والله لاقبلن يدك على ما صنعت ، ولقد خيل الي انني انظر الى شبه السيد المسيح صلوات الله عليه .

كان الذي احدثك عنه يجمع الى صفة الكرم والخير صفات اخر ، لعل من ابرزها كونه رجل فن وطرب ، احاط بما لم يكد يحيط به عارف بالنغم حافظ للتواشيح ، وما شهدته يستمع في الاذاعة الى موشح الا ضبط ايقاعه ، واخذ يوالي بين رفع يده وانزلها على ركبته في انسجام مع النغم المسموع ، وضبط للايقاع المألوف ، وكان يأخذ بالتطريب والغناء مصاحبا المنشدين ، كأنه واحد منهم ، واذا ند عازف او منشد ظهر اثر ذلك في وجه صاحبنا واشار اليه ، وما كانت معرفته بالنغم والايقاع شيئا هينا في حياته ، وربما كانت اعظم علم عرفه واصح احاطة احاط بها مما لم يتهيأ لغيره الا في القليل النادر حتى كان يساجل المغنين ويقارعهم في تسلسل كل نغم ، وصحة كل ايقاع ، ولقد كنت اشفق في سري ، حينما كنت اشهده يقارع بعض المشهورين بالفن واخشى ان يغلبه خصمه ، ولكني كنت دائما بعدئذ اذ اجد مقارعة يعترف له بصحة المعرفة والتفوق بها ، بل لقد شهدت عجبا ذات يوم حينما اجتمع اليه كبير من فناني حلب المشهورين فلقد انطلقا يتساجلان ساعة من زمان واذا بالفنان الكبير يهجم عليه فيقبله ويهوى ليقبل ركبته ويقول له انت فريد في هذه المعرفة .

وسمعت باذني فنانا كبيرا من دمشق شهر امره بالتواشيح والانغام ، يقول في متجر ابن من احدثك عنه بعد وفاته : ان هذا اللحم الذي نبت على كتفي من فضل الله ، ومن فضل ذلك العبقري الكريم ، قلت : وكيف ذلك ؟ قال لقد رعاني طفلا ، وعلمني ما لم أكن اعلم من الانغام والتواشيح ، وكان صلة الماضي الفني بهذا الحاضر الناشيء ، ومثلي من حملة الفن كثير أخذوا عنه فهم غرس يده فيما مر من الزمان .

وجاءني ذات يوم مندوب احدى السلطات الاذاعية الكبيرة في العالم العربي يطلب الي ان أكون وسيطا بينه وبين المحطة ليسجل لها ما يعلم من التواشيح والانغام القديمة ، فقلت له ولكنه ليس بذى صوت جهير كالمغنين ، وانما هو ذو تطريب وصوت ناعم مطرب غير صادع ، قال ولكننا نرضى اذ نجعل الانغام قراءة موسيقية (نوطة) ثم يغنيها مطربون من جهيري الاصوات .

وقصدته احدثه بما قال مندوب المحطة ، فابتسم ، وأمر كفه على شيب لحيته اللطيفة وكرر ذلك ولم يقل شيئا ، كأنما كان يقول بلسان الاشارة لا بواضح العبارة : أفي مثل هذه السن الوقور يقال اني اسجل الاغاني للاذاعات . وتشعب بيننا الحديث : اسأله عمن اخذ الفن وعن نشأته العلمية الفنية ، فنض بين يدي معرفة غزيرة ، وطرائف من الاخبار . قال لي ، وكنا في القاعة الشرقية من داره : أترى هذا الجناح (الطزر) لقد كان حلقة فن رفيع وطرب بريء ، وكان يتصدر هذه القاعة

ابو خليل القباني ، فهو واسطة عقدها ، وجوهرة طوقها ، وكان يجلس في مطلع الزاوية اليمنى عازف الكمان المشهور محمد الجراح ، لا يترك مكانه ولا يغيره كلما جاء الى هنا مع اصحابه ، وكان يجلس على مقربة منه ذو الصوت المبدع عبد الله ابو حرب ، ينشد فيطرب وكان يتصدر العازفين صاحب القانون ، وذكر لي اسمه الذي غاب عن ذاكرتي ، والى جانبه عازف العود وناقر الدف ، ولقد كان « التجلي » يبلغ ذروته في الغناء الرفيع والعزف البديع ... ثم قال اني لا اتخيل احد الضابطين للايقاع يزحف من صدر المجلس حتى يبلغ حافة « الطزر » دون ان يشعر لما غمره به الطرب من انسجام وذهول .

قلت له الا تحدثني عن ابي خليل القباني فقد شهر امره وعرف رائد للمسرح العربي في هذا البلد . قال : بلى انه عبقري زمانه ، وان للحديث عنه لطرقا متشعبة ، كان صاحب مصنع للنشاء (قاعة نشاء) وكان يألف المطربين ويجتمع الى ارباب الفن حتى اذا دعي ليشهد مع المشاهدين تمثيل رواية اجنبية في معهد اجنبي في دمشق لم يجد شيئا لا يمكن تحقيقه بهذه المدينة فجمع اليه اصحابه وسماره وانشأ له فرقة فيها من ذوي الاصوات العذبة ، والوجوه الحسنة من يسحر الناس ويأخذ بالالباب ، وما هي الا عشية او ضحاها حتى اصبح مجتمعه ارقى المجتمعات ، يلتقي عنده الفضلاء والنبلاء وتمثل على مسرحه اجمل الروايات ويستمع عنده الى اعذب الاغاني ، وكان ابو خليل في كل ذلك روح العمل ، وسره الاصيل : يؤلف المسرحية ، وينظم القصائد ، ويلحن الاغاني ، ويهيء المسرح ويخرج الرواية ، ويمثل فيها ويكون بطلها في معظم الاحيان ، قلت : وهل كان في المسرحيات نساء ، والزمن محافظ ، والناس متزمتون ، قال : لقد احتال ابو خليل من اجل ذلك فالبس بعض الشباب ملابس النساء وزينهم بزينتهن وحلاهم بالاقراط والاساور والخلاخيل ، وجعل لهم اثداء من صنع يديه ، ولعل ما صنع كان سببا في غضب فريق عليه ولكن هذا نفسه لم يكن الدافع الحقيقي لغضب سلطان الاستانة وتنكره للعبقري العظيم قلت : الشائع المعروف ان تلك المشاهد في ذلك الزمن كان مثار فتنة ومظهر فسوق ومدعاة غضب قال : ولكن سبب الغضب شيء اخر لا يعرفه الا القليل ، وقد حدثني به ابو خليل نفسه في احدى سهراتنا ، اواخر ايامه وكان سرا ينتفع المرء بمعرفته ويتجنب الوقوع بامثاله قلت : هل لي ان اعرف السر قال : ان قصة القباني قصة هذا البلد واهلية قصة الولوع بالشيء الى اقصى مايتخيله الانسان ثم اطراحه وكراهيته الى اقصى حدود الكراهية لنبوة تصدم الكرامة قبل ان تنال من اي شيء ، هنا في هذه المدينة ، ونحن بنوها تضطرم الحماسة للدين ، من ناحية وينطلق الاحرار من كل قيد في ناحية ثانية ، وقد يثور المتزمت بالمتحلل ، وقلما ينتهي الامر الى اكثر من الغضب والانكار واما اذا اصطدمت الكرامة في هذا البلد فالحرب لا هوادة فيها ولا رحمة ، وذلك ما تم لابي خليل ، فلقد كان ذات ليلة منهك الاعصاب ، خائر القوى لكثرة ما كان يعمل في سبيل فنه ولارضاء الجماهير المتدفقة على مسرحه ، وكان عليه ان يقف وحده منشدا يؤدي ما عليه من حق التمثيل والغناء ويسحر الناس بعذب اناشيده وحلو كلامه .

وتعلقت ابصار الناس واسماعهم به وكانوا عنقا واحدا يتطلعون اليه ، وهو ينشد حتى انتهى من انشاده فبلغ الطرب بالناس ذروته وعلت الاصوات تطلب المزيد ، وكثر التصفيق واشتد الصياح بدعوته الى الغناء من جديد ، وكان من التعب وتلاشي القوة بحيث لا يستطيع ان يستجيب الى ما طلب الناس مما عودهم عليه ، فاسدل الستار ، وانتظر ريثما تهدأ عاصفة الاعجاب ولكن الناس لا يرحمون ، فازداد الصياح ، وكثر الهرج والمرج ، فرفع الستار ، وظهر ابو خليل على المسرح وفي عينيه بريق لم يعهد من قبل ، وعلى جبينه تقطيب لم يعرف ، وهو يقول : اريد ان احدثكم ايها الناس حديثا يغني عن الغناء ، فهدأ الجمع ولم يعد في القاعة غير صوت واحد اجش يقول في عدم اتزان ، ولا رعاية لكبار القوم ولا لصغارهم من الحاضرين : « كانت دمشق لا تعرف الاجنبي الغريب ، فاذا مر ذو القبعة في شارع منها نبحته الكلاب ، ثم كثر فيها الغريب الدخيل ، وكثرت القبعات في البلد ، والفت الكلاب مشهد من يلبس القبعة فلم تعد تنبح ، وفهمت انه من سكان هذه المدينة ... ثم سكت ابو خليل وادار ظهره للناس ودخل في ثنايا المسرح وغاب صوته المتهدج واسدل الستار ، وسمعت جمجمة في الحاضرين ، واخذ يعلو الهمس المتواصل ثم اخذ الممثلون يعودون الى خشبة المسرح يؤدون ادوارهم في جو فاتر متغير ، وتمثيل لا يقبله الناس فلا عيون تتعلق بالممثلين ولا آذان تستمع لما يقولون او ما ينشدون وانما هي غمغمات واحاديث ورؤوس يميل بعضها على بعض في تسار وتناج ، وغضب وازدراء .

ونهض من الصفوف الاولى وجهاء القوم وعلماؤهم وقصدوا باب المسرح واحدا اثر واحد واخذت القاعة تفرغ رويدا رويدا ولم يبق فيها غير بعض العامة ممن

كد وكدح ليجمع ما يبلغه الكرسي الذي يجلس عليه ويستمتع فيه بما يشهد ٠

ولكن هل كان في الحاضرين من عذر ابا خليل ؟ ذلك ما لم يعرفه ابو خليل حينما حدثني بهذا ، وكان يرجح ان الغضب قد لفهم جميعا ، ولكنه لم يأبه بأحد اذ كان قد بلغ الذروة من يأس التعب ٠ وفي صبيحة اليوم الثاني كان يستقلّ القطار الذاهب من دمشق الى القسطنطينية عالمان من وجوه دمشق قد امتلأ حقدا وغيظا على ابي خليل لما اصاب المدينة من اهانة امس فقصدا الى حمى السلطان يستنجدان به من فتنة طاغية ، ويلوذان بكنفه من سفه سافر وفن فاجر ٠٠٠ وجاءت برقية من قسطنيطينة تأمر الوالي بان يمنع القباني من التمثيل وان يجعل عالي المسرح سافله ، فوقع النكال بالفن وتفرق اصحاب الرجل الى حين ٠ تلك هي الحقيقة التي حرمت دمشق زمنا من التمثيل والغناء ٠ قلت : وبعد ذلك ؟ قال : ذهب ابو خليل الى مصر ومثل ، والتقى بالشيخ سلامة حجازي ولعل القليل يذكر ان الشيخ كان يغني اولا من وراء حجاب لقاء دراهم معدودات اذ كان يكبر عليه ان يظهر بزيه الاصلي ممثلا على خشبة المسرح ٠ ولكن ابا خليل ما زال به حتى اظهره على المسرح بادوار صغيرة تقتصر على اداء الغناء ثم رضي ان يندمج في فرقة الممثلين كأحد اللاعبين بينهم ، قال صاحبي : ثم نبت ارض مصر بالقباني ، وما هي الا مدة حتى عاد فجمع شمل اصحابه وقصد بهم الى امريكا ، وهي اذ ذاك حديث الناس في كثرة الاعمال وجمع الاموال ، والحدب على الفنون ، وذهب معه فيمن ذهب رجل عاد بعدها بعلم جديد وصنعة لم تكن تعرف بشكلها العلمي الحاضر وهي صناعة الاسنان وتطبيقها وكان الرجل من اسرة دمشقية ينتسب الى طائفة الدراويش المولوية ، ولمع اسم حلمي الدرويش طبيب الاسنان واسم اخيه فارس الدرويش ، واليهما انتهت هذه الصنعة في زمنهما وانتقلت الى ابنائهما من بعدهما فكان لهذه الاسرة فضل كبير على اضراس الطاعمين في دمشق ، لا ينسى على الزمان ٠ قلت : والمسرحيات التي ابقاها ابو خليل والممثلون الذين عملوا معه ، ماشأن هؤلاء جميعا ؟ قال : اما المسرحيات فمخطوطة عندي منها فصول ولدي واحدة مطبوعة لعلها فريدة في يوم الناس هذا ٠٠٠ سأعطيكها لتحتفظ بها في خزانة كتبك وان كنت احجبها عن كل احد ، اما الممثلون فتفرقوا تحت كل كوكب ، وفي كل مضطرب وصنعة التمثيل والغناء ، صنعة الفقر والشقاء ، ولقد كنا نقول « كار الغنا لا يغني » اما ما تسمع من ثراء المحترفين لهذين الفنين في الغرب فلعل فيه بعض المبالغة ، او لعله من علائم البيئة المترقية المترفة وربما كانت الحال عندهم من قبل كما هي عندنا اليوم ، ومن يدري فقد تجيء على بلادنا ايام نصبح فيها كالغربيين يثرى فيها المحترفون ولكن يضيعون في مقابل ذلك ما يضيعون ٠

قلت : الا تدلني على احد ممن كانوا في فرقة ابي خليل ، قال نعم ، ارأيت الى سوق الحميدية ، وكنا نسمي اوله سوق الاروام ، فان في احد منافذه الضيقة دكانا تراه من مدخل المنفذ ضيقا ليس له من العمق اكثر من جلسة انسان ، فيه رجل حاسر الرأس وامامه منضدة او شبهها ، عليها ادوات حذاء : ومسامير معوجة ، وسندان صغير ، هذا الاسكاف هو فلان (وذكر لي اسمه وهو يشبه اسم زعيم كبير كان في مصر) فلقد كان يحسن الانشاد ويحفظ التواشيح ويمثل الادوار وهو خفيف الظل حافظ للنوادر وما يزال يروي فصولا بكاملها من روايات ابي خليل كأنيس الجليس او السلطان محمود او غيرهما ، قلت : لقد عرفت المكان والدكان فهل لي أن اكون في صحبتك لنتحدث الى الجالس فيه ، قال : انه يعرفني ويعلم انني احب الاستماع اليه وكلما جئته بالحذاء ليصلحه اعاد على مسمعي موشحا من صنع ابي خليل ، او دورا من مسرحياته ومن عجب ان يستعيد هاتيك الذكريات مرحا طروبا لا يأسف على زمن ولا يتنهد على نعمة ٠٠٠٠ ٠٠٠٠ ومرت على الحديث ايام وجئنا على موعد ، فاذا بالرجل الكريم يدفع الي المسرحية التي وعدني بها ويقول : عسى ان تدرسها في يوم من الايام فتبين ما فيها من فن وما في لغتها من خصائص وستحمل اليك شيئا من النفع والمتعة في المقبل من الزمان ٠ قلت : لا ريب في ذلك وهذه يد لك لا تنسى وهي ليست اول يدلك عندي ٠ واخذتها فاحتفظت بها واظنها فريدة في العالم العربي اليوم ، وقصدنا الى الاسكاف فاذا هو طروب بسام ولقد حار كيف يجلسنا في مكان لا يتسع لغير كرسي واحد ولكنه وجد الحيلة التي يعمد اليها دائما اذ قفز الى جار له فأمسك بكرسيين من خشب وجعلهما في الطريق الضيق واجلسنا عليهما فسد المنفذ وشعر بحرجنا فقال : لا بأس « مكان الضيق يسع الف صديق » كما تقول العامة ، وانطلق ينشد شعرا فيه معنى طريف وله نغم عذب اذكر من معناه « ان قد اشرقت شمس الشرور بتشريفكم » او شيئا من هذا ، وسأله صاحبنا عن احواله وذكرياته فافاض ، وكان مما ذكر لنا زجل عامي تناقله اهل دمشق او عوامها في هجاء ابي خليل ، لتمهيد اللهو والفسوق للناس بما يظهر من مفاتن الحسان والغلمان ، فتناولت مفكرتي فلم يبخل ان يملي علي ما ذكر ثم انصرفنا ونحن نعجب لهذه القناعة في اسكافنا الفنان وانشأ صاحبي يحدثني من حديث الفن الغابر كل ممتع لا يمل ٠

دمشق في ١٩٦١/١٢/٣١ **الدكتور جميل سلطان**



لامست جذوة الحب قلب البحتري فانطلق يصور احاسيسه تصويرا نلمس الصدق في كل كلمة من مقطوعاته ، وفي كل شطر من قصائده - الصدق الذي يكشف لنا عن تلك الايام الحلوة التي عاشها هذا الشاعر الطروب .

كان من الشعراء الذين يرون في الحب هذه الواحات المخضوضرة التي تريق البهجة على الحياة .

شاعر متفائل ما عرف قط معنى التشاؤم .

ومع انه عاش في جحيم الاضطرابات ، وفي جو من الحسد والدسائس ، وفي جواء البغض والخصومات والتنافس - مع انه شهد جميع الألوان القاتمة ، فقد عاش حياة المواجيد والحب والشوق - تلك الحياة الباسمة التي تفيأ ظلالها فما يكاد يغفو غفواته الحالمة حتى ينسى تلك الجواء المربدة الكالحة ... واذا به يعود الى واحات من النغم . وافياء ظليلة من الطبيعة الباسمة التي نقرأها مترقرقة في شعره .

وربما كانت جزالة اسلوبه ، ورقة كلامه ، وصحة سبكه ، وحسن ديباجته ، وبعده عن الحشو والتعاظل - ربما كان مرد ذلك الى اندماجه بالطبيعة ، وشعوره المتقد بالحب .

فالطبيعة والحب قد كونا منه شاعرا بكل ما في كلمة الشعر من قوة وسحر .

وهذا الذي جعل ابا العلاء المعري يطلق رأيه الحاسم في شاعرية البحتري حين سأي أي الثلاثة أشعر : ابو تمام أم البحتري أم المتنبي ؟

فقال : المتنبي وابو تمام حكيمان ..

وانما الشاعر البحتري ..

واتفق القدامى والمحدثون على شاعريته المخضلة الخصبة التي تنبع من الطبع .

وأرد عواملها ، كما قلت ، الى روحه التي اندمجت بحب الطبيعة ، والى فؤاده الذي اكتوى بجذوة الحب ..

وحين نتابع سيرة هذا الشاعر نرى القسم الاكبر من نظمه لا يخرج عن هاتين الظاهرتين اللتين مازجتا نفسه وشعوره وكل خالجة من خوالج ذاته .

وما علينا الا ان نمر مرورا سريعا بمراحل حياته لنرى أثر ذلك في شعره .

. . .

ففي سنة ٢٠٦ هـ ولد في منبج - هذه البلدة التي تبعد ثمانين كيلو مترا عن حلب بالسيارة في يومنا هذا ، وعشرة فراسخ كما حددها ياقوت في معجمه والتي اعتبرها صاحب الزيج مدينة كبيرة واسعة ذات خيرات كثيرة وارزاق واسعة ووصفها ابن العطار بانها (برة حمراء . وسنبلة صفراء ، وشجرة خضراء ، في فياف فسيحة ، بين قيصوم وشيح - هذه البقعة التي عاش في ظلالها ابو فراس الحمداني وعبد الله بن صالح الهاشمي الذي كان لسان بني العباس ومن يضرب به المثل في البلاغة ، وكثيرون من الاعلام .

في هذه البلدة الوادعة نشأ الوليد بن عبد الله بن يحيي البحتري الذي لم يكن يحبو حتى قذف به الى البادية ، الى قبائل طي ، وهو منها في الصميم ، فأخذ عنها الفصاحة ، ثم لم يكد يأخذ بحظه من الادب ويلوك لسانه الشعر حتى أخذ طريقه يخب في هذا الميدان الوعر ، يمدح ويرثي ويصف ويتغزل ، وما زال حتى بلغ القمة ، وداني في مرتبة الشعر علمين من اعلامها : ابي تمام والمتنبي ..

ويحدثنا البحتري عن نشأته الشعرية حديثا يشف

عن صدق نزعته فيقول :

« كان اول امري في الشعر ونباهتي : ان صرت الى ابي تمام وهو بحمص ، فعرضت عليه شعري ، كان الشعراء يعرضون عليه اشعارهم ، فاقبل عليه وترك سائر من حضره .

« فلما تفرقوا .. قال لي : انت أشعر من انشدني .. فكان لهذه الكلمة وقع السحر في نفس البحتري .

واذ كان التكسب بالشعر هو النهج الذي سلكه معاصروه ، فقد سلك هو نفس الطريق .

وكان الفتى ذا خصاصة .

وأدرك ابو تمام ذلك فسأله كيف حالك ؟ فشكا خلته

فما كان من ابي تمام الذي قدر مواهبه الا ان كتب الى أهل معرة النعمان يشهد له بالحذق في الشعر ويطلب اليهم ان يكافئوه .

وسافر البحتري الى المعرة يحمل كتاب ابي تمام الذي جاء فيه :

« يصل كتابي هذا على يد الوليد بن عبادة الطائي وهو على بذاذته[1] شاعر فأكرموه .. »

فما كاد يصل الى ارض المعرة حتى كان قد أتم قصيدته التي مدح فيها أهلها فأكرموه ، وخصصوا له اربعة آلاف درهم ، فكان ذلك ، كما قال ، اول مال اصابه في حياته .

. . .

كانت قصائد المدح طريقه الى الحياة ، والى الشهرة .

وقبل ان يقفز تلك القفزات اراد ان يكون له منهج يسير عليه .

ورجع الى استاذه ابي تمام يريد منه ان يضع له هذا المنهج ليسير في نفس الطريق الذي سار في دروبها الوعرة أعاظم الشعراء الذين بلغوا أرفع مكانة عند الملوك والامراء ومن اليهم من ذوي الحصافة والرأي .

ولم يبخل عليه ابو تمام . ولا سيما بعد ان انس فيه موهبة مخضلة ، وهو طائي من عشيرته ، فقال له اكتب :

ويروي البحتري ذاته هذه اللقاءة .. بل الدرس الاولى الذي تلقاه من أمير الشعر في عصره ..

قال : كنت في حداثتي أروم الشعر .. وكنت ارجع فيه الى طبعي .

ولم اكن اقف على تسهيل مأخذه ، ووجوه اقتضابه ، حتى قصدت ابا تمام ، وانقطعت اليه ، واتكلت في تعريفه علي ، فكان اول ما قال لي :

« يا ابا عبادة :

« تخير الاوقات وانت قليل الهموم ، صفر من الغموم ، واعلم ان العادة جرت في الاوقات أن يقصد الانسان لتأليف شيء او حفظه في وقت السحر ، وذلك ان النفس قد نالت حظها من الراحة وقسطها من النوم .

« وان اردت التشبيب ، فاجعل اللفظ رقيقا ، والمعنى رشيقا واكثر فيه من بيان الصبابة ، وتوجع الكآبة ، وقلق الاشواق ، ولوعة الفراق .

« فاذا اخذت في مدح سيد ذي أياد ، فاشهر مناقبه ، واظهر مناسبه ، وأبن معالمه ، وشرف مقامه ، ونضد المعاني ، واحذر المجهول منها .

« واياك ان تشين شعرك بالالفاظ الرزية ، ولتكن كأنك خياط يقطع الثياب على مقادير الاجساد ، واذا عارضك الضجر ، فارح نفسك ، ولا تعمل شعرك الا وانت فارغ القلب ، واجعل شهوتك الى الشعر ، الذريعة الى حسن نظمه ، وان الشهوة نعم المعين ..

« وجملة الحال : ان تعتبر شعرك بما سلف من شعر الماضين ، فما استحسن العلماء فاقصده ، وماتركوه فاجتنبه ، ترشد ان شاء الله »

قال البحتري :

« فاعملت نفسي فيما قال ، فوقفت على السياسة ..

. . .

هذا الدرس البليغ الذي تلقاه من استاذه ابي تمام جعله دستوره في حياته كشاعر يريد ان يبلغ ما بلغه الاوائل ... أو ان يبلغ مكانة استاذه .

وما هي الا فترات لم تطل حتى تجلت مواهبه الشعرية ، وأصبح لشعره صداه في الاندية والجمعيات .

. . .

كان محبو الادب يستمتعون بالشعر على اختلاف

---

(١) بذ بذءا وبذاذة : ساءت حالة ورثت هيئته .

منازعه ، وكان ابو تمام ، امير شعراء عصره .. فلما ظهر البحتري وشعت مواهب شاعريته طرب لها ابو تمام وانطلقت كلمة الانصاف من فمه فقال له مباهيا :

« انت والله يا بني امير الشعر غدا بعدي .. »

فكان لهذه الكلمة دويها في آذان الكثيرين من الادباء والشعراء والمتشاعرين ...

ولم يخيب البحتري ظن استاذه ... فسار مجدا في هذه الدروب المعشوشبة المليئة بالاشواك والازهار .

كل يوم قصيدة ترمز الى شاعريته الخصبة ..

فما كاد يذيع صيته حتى طمع القادة والرؤساء باماديحه . وأثار ذيوع صيته وعلو مكانته ضغينة الشعراء فأخذوا يحسدونه .

وحاولوا الايقاع بينه وبين استاذه فأثاروه باسئلتهم المحرجة التي تخفي غير ما تظهر .

ولكنه كان على جانب وفير من الرزانة التي تبعده عن التفاخر الكاذب فلم ينكر لصاحب الفضل صنيعه :

قال له بعض الخبثاء وقد سمع شعره :

انت أشعر من ابي تمام ..

وكلمة كهذه تثير عادة كبرياء الشاعر فيزهو ويتعالى ، ولكن البحتري لم يأخذه الزهو ، ولم يشأ ان ينكر فضل من احسن اليه ، ومن عبد له طريق السير فأجابهم بقوله :

« ما ينفعني هذا القول ، ولا يضر ابا تمام ، والله ما أكلت الخبز الا به .. »

وتدفعه الاصالة وسجية التواضع والاعتراف بشاعرية استاذه ابي تمام الى القول :

« .. ولوددت ان الامر كما قلتم .. ولكني والله تابع له ، آخذ منه ، لائذ به ، نسيمي يركد عند هوائه وارضي تنخفض عند سمائه .. »

وقلما نسمع لشاعر يعترف لغيره من الشعراء هذا الاعتراف الصادق ، فأكثر الشعراء ، الا من عصم ربك ، وهم قلة ، لا يعترفون لمعاصريهم بالشاعرية ، ويرون شعرهم الشعر الخالد على الزمن ، وشعر غيرهم عبثا وهراء .

شنشنة عرف بها المتشاعرون والكثير من الشعراء في كل الازمان .

— ٢ —

هذه الظواهر التي مرت من افق حياة البحتري وهو في فجر شبابه ترينا جانبا من نفسية هذا الشاعر الذي سلك طريق الاعتراف لاستاذه ، وعدم التنكر لمن رسموا له خطى السير في هذا الدرب الطويل .

وسار في طريقه ، يمتح من معين شاعريته ، فتترقرق الجزالة وتنبض العذوبة في شعره فيهتزلها الناس ويطربون .

ولم يخالف ابن الاثير الحقيقة حين قال عن البحتري انه أراد ان يشعر فغنى .

والحق ان شعره غنائي .

وسر ذلك اندماجه بالطبيعة التي كانت ترقصه بافانينها ، ثم بالحب الذي لامس جوانب قلبه .

فالمرأة والطبيعة لعبتا دورا في شعره الوصفي وفي شعره الحسي معا .

فاذا وصف رسم لك الصورة بجميع تلاوينها . وهو يرسم اختلاجات ذاته الى دقة وصفه .

ويتراءى لنا هذا واضحا في وصفه الربيع ، وعراكه مع الذئب ، وايوان كسرى ، وبركة المتوكل وغير ذلك من المرئيات التي أثاره مظهرها ، وأثارته صورها وتلاوينها فرسم احاسيسه وعبر على مشاعره ، الى وصفه دقائق الصور التي تدق حتى على اكابر الفنانين .

من منا لا يردد مقطوعة الربيع حين يطل علينا بازهاره ونفحاته فيحس حين يرددها انه يتنسم عبقه ويتزيا بجمال رونقه .

اتاك الربيع الطلق يختال ضاحكا
من الحسن حتى كاد ان يتكلما

وقد نبه النيروز في غسق الدجى

اوائل ورد كن بالامس نوما

يفتقها برد الندى فكأنه

يبث حديثا كان قبل مكتما

فمن شجر رد الربيع لباسه

عليه كما نشرت وشيا منمنما

أحل فأبدى للعيون بشاشة

وكان قذى للعين اذ كان محرما

ورق نسيم الدوح حتى حسبته

يجيء بانفاس الاحبة نعما

لا أقول ان القطعة لوحة تصويرية رسم خطوطها الزاهية رسام موهوب ، بل هي الربيع الذي ننعم ببهجته ، ونشم ورده ، ونتفيأ ظلال اشجاره التي ازينت بالازهار المنمنمة بالوشي الجميل ..

• • •

وعراكه مع الذئب : قصيدة بلغ بها البحتري الغاية في تصوير النفس البشرية حين تواجه الاهوال ، وحين تكون وحيدة في الصحراء المقفرة الموحشة .

عراكه مع الذئب كعراكه مع الاحداث .

ان قوة الارادة تبدو جلية في صموده ومواجهته معركة الموت برباطة جأش ، وجنان قوى لا نلمسه الا عند الصناديد .

انه يودع اهله واصفياءه في طريقه الى العراق ، فلا يكاد يبارح منبج حتى نلمس وجيب هذا القلب المحترق من ألم الفراق :

أأحبابنا قد أنجز البين وعده

وشيكا ، ولم ينجز لنا منكم وعد !

بنفسي من عذبت نفسي بحبه

وان لم يكن منا وصال ولا ود

حبيب عن الاحباب شطت به النوى

وأي حبيب ما أتى دونه البعد

ويسير في طريقه لا يلوى ، وهو يردد هذه الاهازيج لتي تداهم المسافر الذي ينتقل من بلد الى بلد ، ومن قرية صغيرة الى عاصمة كبيرة ، وقد خلف وراءه الكثير من الذكريات التي امتزج حلوها بمرها ، حتى اذا توسط قلب الصحراء واجهه ذئب طويل مهيب ، أغبر اللون الى سواد ، طويل الذنب ، معوج الظهر اضناه الجوع المرير ، لم يبد منه غير العظم والروح والجلد .

أي منظر مخيف واجه البحتري في هذه الرحلة المتعبة الموحشة ؟

انه ازاء ذئب مخيف يحس ألم الجوع وقد صبر طويلا الى ان لقي فريسته .

ما موقفه من هذا الهول الذي يخطر بباله ؟

وأي انسان يواجه هذا الموقف المهيب المرعب ولا تنهد قواه وترتعد فرائصه ..

انه وجها لوجه ، مع هذا الوحش الكاسر الذي :

يقضقض عصلا في أسرتها الردى

كقضقضة المقرور ارعده البرد

اي والله .. انه مع ذئب أغبر ، طويل مهيب ، يصوت بأسنان معوجة كقضقضة المقرور اصابه البرد في الشتاء القارص .

ولم يكن البحتري ، بعد سفره الطويل الشاق ، اقل منه جوعا وبردا وظمأ وخوفا وفرقا .

سما[1] لي وبي من شدة الجوع ما به

ببيداء لم تعرف بها عشية رغد

كلانا بها ذئب يحدث نفسه

بصاحبه ، والجد يتعسه الجد

عوى ثم أقعى(٢) فارتجزت(٣) فهجته

فاقبل مثل البرق يتبعه الرعد

هل يجبن الشاعر ازاء هذا الموقف الرهيب والمعركة معركة موت وحياة ؟

---

(١) سمالي ـ خرج لي وقصدني

(٢) أقعى ـ جلس على أسته

(٣) ارتجزت ـ رفعت صوتي وقلت رجزا

لقد انقلب ضعفه قوة ، وخوفه شجاعة ، وبأسه ياسا .. أيكون لقمة سائغة لذئب مفترس بعد هذا السفر الطويل الذي اراد من ورائه الحياة المترفة الناعمة التي تحقق الكثير ن امنياته الحلوة العذبة لا ..

فقد انقلبت رقته شراسة ، ووداعته ضراوة ،ودفعه هول الموقف ان يتخلى عن وداعة الشاعر ، وان يتجلبب نفسية اسد هصور ليرد عن نفسه عادية الذئب ، وقد كان ذلك ..

سدد اليه سنان رمحه ، واخذ يراوغه .. وما زال

يراوغه حتى طعنه طعنة قاتلة .. ثم اتبعها باخرى دون ان يفقد وعيه ، الى ان صرعه فاستراح وهدأ باله ..

فأوجرته خرقاء تحسب ريشها
على كوكب ينقض والليل مسود
فما ازداد الا جرأة وصرامة
وايقنت ان الامر منه هو الجد
فاتبعتها اخرى فاضللت نصلها
بحيث يكون اللب والرعب والحقد
فحز وقد أوردته منهل الردى
على ظمأ لو انه عذب الورد
وقمت فجمعت الحصى فاشتويته
عليه ، وللرمضاء من تحته وقد
ونلت خسيسا منه ثم تركته
واقلعت عنه وهو منعفر فرد

في هذه القصيدة صور البحتري منازع النفس حين تواجهها الاحداث ، التي تصور معركة من معارك « الذات » حين يفرض عليها ان تعيش لحظات بين الموت والحياة . وقد بلغ القمة في دقة التصوير والافصاح عن خوالج الانسان باسلوب غاية في الدقة .

ولا مجال لان نلمع الى هذه القصائد التصويرية التي يتجلى فيها فن الشاعر ولا سيما في وصفه « ايوان كسرى » و « بركة المتوكل » وغيرها وغيرها من هذه الألوان التي كان يصب احساسه وشعوره بلغة حلوة عذبة كأنك تستمع ، في بعض مقاطعها ، الى سمفونية من الموسيقى الهادئة التي تلامس جوانب النفس وتهز المشاعر .

ومرد كل ذلك ، كما قلت ، الى ظاهرتين لعبتا اكبر الاثر في تكوين مزاجه الشعري وهما الطبيعة والمرأة .

فقد اندمج البحتري اندماجا قويا بحب الطبيعة واستطاعت المرأة ان تضرم في حنايا صدره جذوة الحب ، فظلت هذه الجذوة مستقلة في كل خالجة من خوالج نفسه حتى اخريات ايامه .

من هذه المرأة التي أثارته فخصها بالكثير من شعره ؟

قروية من بطياس ذات ملاحة وجاذبية وسحر ماكاد يلقاها ويتعرف اليها حتى انجذب اليها بحب عميق .

هي علوة بنت زرعة الحلبية ، تركت قريتها واستوطنت حلب ، وكان بينها وبين البحتري علاقة ود وصلات حب ازدادت مع الايام حتى اصبح حبا عميقا وحتى اصبحت ملهمته في قول الشعر .

وكما يجري بين العاشقين من وصال وصدود ، ولقاء وهجر ، ورد وعتاب ، فقد كانت ايامه معها على هذه الوتيرة ، فكان يعبر عن ولعه بمقطوعات من الشعر يصف جمالها وصوتها ورقتها وعذب حديثها ، كما يصف ليالي الحب التي كان يمضيها معها فنحس ونحن نقرأ شعره ، بوقدة الجوى وحرارة العاطفة وسويعات المتعة حين يحلو لقاء العاشقين .

كم ليلة فيك بت أسهرها
ولوعة من هواك أضمرها
وحرقة والدمع تطفئها
ثم يعود الجوى فيسعرها
يا علو عل الزمان يعقبنا
ايام وصل نظل نشكرها

بيضاء رود الشباب قد غمست

في خجل دائما يعصفرها

مجدولة هزها الصبي فشجا

قلبك مسموعها ومنظرها

لا تبعث العود تستعين به

ولا تبيت الاوتار تخفرها

الله جار لها فما امتلأت

عيني الا من حيث أبصرها

ان « قويقا » له علي يد

بيضاء بالامس ، لست اكفرها

وليلة الشك ، وهو ثالثنا

كانت هنات والله يغفرها

ان الايام التي قضاها مع علوة ، ايام وصل وصد ، ولقاء وهجر ، كانت تعبث به وتلاعبه ، وكلما ازدادت نفورا وصدودا ازداد تدلها وحبا وولعا ..

ولعل هذه الحرقة هي التي كانت تثيره للتعبير عن حبه ووجده ولا سيما حين تخلف الوعد وتتركه في هواجس مضنية :

يا موعدا منها ترقبته

والصبح فيما بيننا يسفر

همت بنا حتى اذا أقبلت

نم عليك المسك والعنبر

يا مرنة يحتثها بارق

وروضة انوارها تزهر

ما انصف العاذل في حبكم

بمثلكم من يبتلى يصبر

انه في ثورة هائجة من مرح الشباب يريد ان يعيش الحياة الحلوة البهيجة مع من احبه قبل أن تمر ايام الشباب ويدركه المشيب .

رب عيش لنا برامة رطب

وليال فيها طوال قصار

قبل ان يقبل المشيب وتغدو

هفوات الشباب في ادبار

كان حلوا هذا الهوى وأراه

عاد مرا ، والسكر قبل الخمار

انه يريد ان يظل في نشوة الهوى ، والا تتبدل سويعات الحب بالمنغصات ، اذ أخشى ما يخشاه ان تمر ايام الشباب ، وان يدركه المشيب قبل ان يتمتع بالحياة الحلوة البهيجة على اوسع مداها .

وهكذا ، نرى البحتري في شعره ، هذا المحب العاشق الذي أثارته « علوة » بسهراتها فأحبها حبا ملك عليه كل مشاعره ، وظل يتغزل بها ويذكر ايام لقائهما حتى بعد ان فارقه الشباب ودلج من الكهولة الى الشيخوخة فكانت قصائد المديح التي تفتتح بالغزل تصويرا لغزله ومنازع حبه لعلوة .

وحملتني ذنب المشيب وانه

لذنبك ان انصفت في الحكم لا ذنبي

ووالله ما اخترت السلو ولا الهوى

ولا حدت عما تعهدين من الحب

ولا ازداد الا جدة وتمكنا

محلك من نفسي ، وحظك من قلبي

فلا تجمعي هجرا وعتبا فلم اجد

جليدا على هجر الاحبة والعتب

وظل وفيا يذكرها انى وجد في الشام أو في العراق ..

قلب مشوق عناه البث والكمد

ومقلة تبذل الدمع الذي تجد

تدنو سليمى ولا يدنو اللقاء بها

فيستوى في هواها القرب والبعد

بيضاء لا تصل الحبل الذي قطعت

منا ولا تصل الوعد الذي تعد

ظلم من الحب انا لا يزال لنا
فيه دم ماله عقل ولا قود

ونلمح في قصائده اسماء غير واحدة من النساء .. ذكر هندا ودعدا وليلى وزينبا .. وما كانت ليلى ولازينب ولا هند ولا دعد ، ما كان لواحدة من هؤلاء ان تشغل قلبه غير علوة .

جنوني في ليلى ، وليلى خلية
وصفوي في ليلى ، وليلى تجنب
اذا لبست كانت جمال لباسها
وتسلب لب المجتلي حين تسلب
وسميتها من خشية الناس زينبا
وكم سترت حبا عن الناس زينب
غضارة دنيا شاكلت بفنونها
معاقبة الدنيا التي تتقلب
وجنة خلد عذبتنا بدلها
وما خلت انا بالخيال نعذب

وكثيرا ما ذكرها وهو في العراق .. وكثيرا ماكان يخلو الى نفسه وهو في هواجس مضنية ، فاذا ضاق بوحدته هرع الى ضفاف الانهر يجلو همه بكأس نبيذ ، وسرعان ما يكتب الى المبرد ، وكان من خلص اصدقائه ، ان يوافيه لينسى بعض همومه :

يوم سبت وعندنا ما كفى الحر طعام ، والورد منا قريب ولنا مجلس على النهر فياح ، فسيح ، ترتاح فيه القلوب ودوام المدام يدنيك ممن كنت تهوى ، وان جفاك الحبيب

فاتنا يا محمد بن يزيد
في استتار كي لا يراك الرقيب
نطرد الهم باصطباح ثلاث
مترعات تنفى بهن الكروب
ان في الراح راحة من جوى الحب
وقلبي الى الاديب طروب
لا يرعك المشيب مني فاني
ما ثناني عن التصابي المشيب

نعم ، ظل وفيا لعلوة بحبه ، لم تشغله العراق باحداثها . وا كانت تضمه قصورها ومجتمعاتها من إماء وجواري **فاتنات ..**

كان زاده منها طيفها الذي يدغدغه وهو غفيان :

خيال يعتريني في المنام
لسكرى اللحظ فاتنة القوام
لعلوة انها **شجن لنفسي**
وبلبال لقلبي المستهام
اذا سفرت رأيت الظرف بحتا
ونار الحسن ساطعة الضرام

وتتراءى له ابتسامتها في الخيال فيرى ضياء البرق بل :

كنور الاقحوان جلاه طل
وسمط الدر فصل بالنظام

ويتمادى في وصف هذه الضحكات التي تذكره بايام حلوة وليال عذاب قضاها مع « علوة » وهو في فجر شبابه :

وتضحك عن نظم من اللؤلؤ الذي
اراك دموع الصب كاللؤلؤ النثر
أفي الخمر بعض من تعصفر خدها
ام التهبت في خدها نشوة الخمر
أقامت على الهجران ما ان تجوزه
وخالفها بالوصل طيب لها يسرى
فكم في الدجى من فرحة بلقائها
ومن ترحة بالبين منها لدى الفجر
ولم انس اسعاف الكرى بدنوها
وزورتها بعد الهدوء وما تدري
واخذي بعطفيها وقد مال ردفها
بطيعة العطفين ، مهضومة الخصر
عناق يروي غلتي ، وهو باطل
ولو انه حق شفى لوعة الصدر

كان يذكرها صبح مساء ، ويقول فيها الشعر

العذب ، ويعبر عن خوالجه النفسية كما يعبر عن حرقة كبده وجواه ، ثم يبعث اليها بتحياته العبقة مع السحاب :

قل للسحاب اذا حدته الشمأل
وسرى بليل ركبه المتحمل
عرج على حلب فحي محلة
مأنوسة فيها لعلوة منزل
لغريرة أدنو وتبعد في الهوى
واجود بالود المصون وتبخل
وعليلة الالحاظ ناعمة الصبى
غرى الوشاة بها ولج العذل
احنو اليك وفي فؤادي لوعة
وأصد عنك ووجه ودي مقبل
واذا هممت بوصل غيرك ردني
وله اليك وشافع لك أول
واعز ثم أذل ذلة عاشق
والحب فيه تعزز وتذلل

هذه الفاتنة الغريرة ، البيضاء البشرة ، الموردة الخد ، المشوقة القد ، الساحرة العينين ، والتي قضى معها انضر ايام شبابه ولم ينسها بقية عمره كانت بحق « ملهمته » وكان لها اكبر الاثر في اثارة احاسيسه ومواجيده ـ هذه المواجيد التي تجسدت الوانا جميلة من الشعر العاطفي الرقيق ...

شأن البحتري في هذا شأن كل من الشعراء والكتاب والفنانين الذين اثارتهم الجميلات فخلدوا ذكراهن وخلد ادبهم بوصف ملاحتهن وسحرهن وجاذبيتهن .

فلولا عنيزة بنت عم امرىء القيس لما رأينا في شعره المتعاظل هذه المسحة الرقيقة التي صورت لنا ملامح المرأة الجاهلية .

وثريا عمر بن ابي ربيعة ـ وما اكثر ثريات عمر ـ لولا سحر المرأة لما قرأنا اخلد آيات الشعر الغزلي في صدر الاسلام .

ولولا عزة لما تمتعنا بشعر كثير

ولولا ليلى لما كانت لنا قصة المجنون

ولولا بثينة لما قرأنا حرقات جميل في مقطوعاته الوجدية وقصائده الغنائية .

ولولا سلامة لما لمسنا في شعر الاحوص هذه الطيوف الماجنة في تصوير خلجات النساء .

ولولا فوز لما ترك لنا ابن الاحنف اجمل آيات الشعر الوجدي الرقيق .

ولولا وحيد المغنية لما ترك لنا ابن الرومي قصيدته الدالية التي تعتبر من اجمل الشعر في تصوير منازع النفس .

وفي الادب العالمي مئات الامثلة على ما للمرأة من أثر في الهاب وانضاج عبقرية الشعراء والادباء والفنانين .

فما من واحد ينكر اثر جوليا في شعر لامارتين .

واثر مارغريت او اليصابات شومان في غوته الذي كتب روايته الخالدة فاوست .

وبياتريس التي الهمت دانتي الذي كتب العوبته الالهية .

وعشرات الادباء العالميين الذين اثارهم سحر المرأة فاكتوت افئدتهم بجذوة الحب ، وكان لنا من ادبهم اخلد آيات الشعر العاطفي .

وما شذ البحتري عمن تقدمه ومن جاء بعده من الشعراء ..

فكان لعلوة الحلبية هذا الاثر البليغ في رونق شعره ، ولا سيما شعره العاطفي الذي يفيض بالرقة والعذوبة والنغم الذي يصور حرقة قلب انسان عاش طوال حياته مع الحب . ـ حب « علوة » التي احبها على القرب والبعد ، وكان لها اكبر اثر في رقة شعره ونضوج شاعريته .

سامي الكيالي

عين الخوري

شعر
سليمان العيسى

عين الخوري
في « مشتى الحلو »
قال رفيقي : « هناك في قلب الوادي ٠ »
وانحدرت القافلة الصغيرة ٠٠
دقيقة ٠٠ دقيقتان ٠٠ ثلاث ٠٠
وكنا بين أجنحة الدلب، وأهداب الكرمة ٠
وتركض للقائنا قصيدة عذبة ٠٠
تنبجس عارية من بين الصخور
ثم تحت الخطى في « الحنجرة الخضراء » ٠٠
مترنحة ٠٠ متلوية ٠٠
تغيب تارة ٠٠ وتبدو تارة ٠٠
وكانت ساعة ، وأغنيا ت، وكأس ٠٠
على العين الساحرة ٠٠

***

أرهق الرمل والحصى قدميا
يا بنة الصخر ٠٠
رطبي شفتيا ٠٠
أدفقي ٠٠ أدفقي ٠٠
رميت على الصخر غباري ،
بعثت في النبع حيا
واغسلي بالرذاذ ينهل في روحي
وجودا مل الاعاصير ريا
مل ٠٠ مل السراب يترع عينيه ،
ويسقيه وهمه الازليا
مل ضوضاءه يحدث عنها الفجر
شعرا ٠٠ مل الطريق دويا
هدأة ٠٠ يا بنة الصخور وكأسا
ودعيني بنجمة أتفيا ٠٠
بجناح سكران من ورق الدلب ،
يلم السماء في جفنيا ٠٠
هدأة ٠٠ أنسفح على شفة النبع
شرودا يجدد النبع فيا
صدئت مقلتاي من رهج الدرب ،
أقيم الاصنام في مقلتيا
أجبل النافه الهجين « الها »
أحرق الند للوحول سخيا
صدئت مقلتاي ٠٠ صبي علي الظل
واهجع يا عطر في رئتيا
نسمة ٠٠ نسمتان من خلل الغاب ٠
وتسعى الكنوز بين يديا
لا تخافي ٠٠
لن أوقظ الغصن النائم جنبي ،
دعيه يغفي مليا ٠٠
تنبت الورد والحياة أغانيك ،
وما أنبتت رعودي شيا
يا بنة الصخر ٠٠
لو ترقرقت فينا
مرة ٠٠ أصبح الوجود شهيا ٠٠

حلب : سليمان العيسى



(من مجموعة بعنوان « أقاصيص من الادب الايطالي المعاصر » ستصدر قريبا عن « المؤسسة الاهلية » في بيروت)

تعريف « ولد جوفاني فيرغا في مدينة كاتانيا في صقلية عام ١٨٤٠ وتوفي عام ١٩٢٢ ، ويعتبره الايطاليون اعظم روائييهم بعد اليساندرو مانتزوني ، أو هو ابو الرواية الايطالية الحديثة ، كما انه ابو الواقعية في الادب الايطالي الحديث ، وهي الواقعية التي نشأت اولا في فرنسا كحركة مناوئة للرومانسية أو كرد فعل لها . كانت اقاصيصه ورواياته في البداية تنحو المنحى الرومانسي ، ثم انصرف الى الادب الواقعي المستمد من صميم البيئة ، ومن شقاء الفلاحين والعمال ومآسي حياتهم . واشهر آثاره الادبية (الحاقدون) و (المعلم دون جيزوالدو) وله عدا هاتين الروايتين ، اللتين تعتبران من روائع الادب الايطالي الحديث ومن قممه الشوامخ ، عدة روايات ، وعدد كبير جدا من الاقاصيص المنشورة في مجلدين بعنوان (جميع الاقاصيص) ، ومنها اخترنا هذه الاقصوصة). (ع.ن.)

وقفت الطفلة في الباب تعبث بشرابة مريولها وقالت :

ـ انا هنا

ثم لما رأت انه لم ينتبه اليها احد ، راحت تنظر بحياء الى الاشبينات[1] واحدة واحدة وهن يخبزن العجين ، وقالت من جديد :

ـ لقد قالوا لي اذهبي عند الاشبينة سيدورا

فهتفت بها الاشبينة سيدورا قائلة : (تعالي هنا ، تعالي هنا) . وكان وجهها احمر كالبندورة من شدة حرارة الفرن . ثم اردفت : « انتظري لكي اصنع لك كعكة جميلة » .

وقالت ليكوديانا : (هـذا يعني انهم حملوا الى الاشبينة نونتسيا الزاد المقدس الاخير ، ما داموا قد ارسلوا الينا الطفلة)

والتفتت احدى الاشبينات اللواتي يعجن العجين ، ويداها ما تزالان تعملان في المعجن بقبضتين مطبقتين ، وهما عاريتان الى المرفقين ، وسألت الطفلة :

ـ كيف حال امرأة ابيك ؟

فنظرت الطفلة الى الاشبينة التي لم تكن تعرفها من قبل ، بعينين محملقتين دامعتين ، ثم عادت الى احناء رأسها ، واخذت تعبث بشرابات مريولها بعنف ، وقالت بصوت خافت متلعثم :

ـ انها في الفراش

فأجابت ليكوديانا ـ الا تشعرن بحضور الخالق هناك ؟ لقد اخذت الجارات يعولن ويندبن عند الباب .

« وقالت الاشبينة سيدورا : ـ متى انتهيت من الخبز .... »

---

(١) الاشبينة هي العرابة او شاهدة المعمودية او الزواج . الا ان المقصود بها هو التعبير عن الاحترام لكل امرأة ، كما يقال (العمة او الخالة) وكذلك لفظة (الاشبين) للرجال .

وقالت ليكوديانا ـ بعض الناس غير محظوظين مع النساء ، ومثلهم في ذلك مثل الذين لا حظ لهم في البهائم ، كلما اكثروا منها ازداد فقدهم لها . انظرن الى الاشبينة أنجيلا .

ثم اردفت قائلة ـ مساء أمس رأيت الاشبين مينو عند الباب ، وكان عائدا من الكرم قبل ان يدق جرس المساء ، وهو ينفخ أنفه بمنديله .

وأضافت الاشبينة التي تخبز العجين ـ ومع ذلك فان له يدا مباركة في قتل الزوجات ، ففي اقل من ثلاث سنوات استنفد اثنتين من بنات السيد نينو ، واحدة تلو الاخرى ! وبعد قليل سيأخذ الثالثة ، وبذلك يستولي على كل ما يملكه الاشبين نينو .

ـ ولكن هل هذه الطفلة ابنة الاشبينة نونتسيا ، أم هي من الزوجة الاولى ؟

ـ انها ابنة الاولى ، الا انها كانت تحب الثانية كما لو كانت امها ، فقد كانت الطفلة اليتيمة ابنة اختها .

واذ سمعت الطفلة ان الحديث كان كله عنها اخذت تبكي صامتة صامتة في شبه ترتيلة ناعمة تنفس بها عن قلبها الحزين ، الذي كانت تسكته بعبثها بالمريول .

وعادت الاشبينة سيدورا تقول لها ـ تعالي هنا ، تعالي هنا . ان الكعكة الجميلة جاهزة ؟ اوقفي البكاء ، فان امك في السماء .

فجففت الطفلة عندئذ عينيها بقبضتي يديها ، بينما كانت الاشبينة ترفع غطاء الفرن .

ووقفت احدى الجارات على الباب تقول ـ مسكينة الاشبينة نونتسيا ، لقد ذهب بها الدفانون (الحانوتية) ، ومروا الان من هنا .

فهتفت الاشبينات وهن يرسمن اشارة الصليب : يا رب لطفك وأبعد عنا الشر ، اننا متعبدات للسيدة العذراء !

وتناولت الاشبينة سيدورا الكعكة من الفرن ، ومسحت عنها الرماد ، وناولتها ساخنة الى الطفلة ، فتناولتها هذه بمريولها ، ومضت على مهلها وهي تنفخ عليها .

ـ فنادتها الاشبينة سيدورا من الخلف ـ الى اين تذهبين ؟ ابقي حيث انت ، فالبيت فيه بعبع اسود ، يخطف الناس ويهرب بهم .

فاصغت الطفلة بمنتهى الجد ، وراحت تفرك عينيها ، ثم قالت بلهجة بريئة عنيدة :

ـ سأذهب لاحملها الى ماما

فقالت احدى الجارات ـ الماما غير موجودة . ابقي هنا ، وكليها انت الكعكة .

فجلست الطفلة القرفصاء على درجات الباب بحزن شديد ، والكعكة بين يديها ، دون ان تتناول منها شيئا .

وفجأة رأت اباها قادما ، فنهضت مسرورة وهرعت الى لقائه . ودخل الاشبين مينو دون ان ينبس بكلمة ، وجلس في ركن البيت مدليا يديه ما بين ركبتيه ، وكان وجهه مستطيلا وشفتاه شديدتي البياض كالورقة ، لانه منذ اليوم السابق لم يكن قد دخل فمه لقمة خبز من شدة الغم . وراح ينظر الى الاشبينات وكانما يقول : (يا لي من مسكين !)

واذ رأت النساء المنديل الاسود على عنقه ، أحطن به بايديهن الملوثة بالطحين ، ورحن معا يعزينه بصوت واحد .

اما هو فكان يردد قائلا وهو يهز رأسه فوق كتفيه العريضتين :

ـ لا تقلن شيئا لي عنها يا اشبينتي سيدورا . ان هذه لشوكة لا يمكن انتزاعها من قلبي ! لقد كانت قديسة حقا تلك المرأة ! ومع احترامي لكن ، اقول انني لم اكن استحقها ، حتى نهار امس ، وكانت حالتها سيئة جدا ، نهضت من فراشها لتعني بالمهر الفطيم . ولم تكن ترضى بأن ادعو لها الطبيب ، خوفا من ان ادفع له نقودا ، أو

اشتري دواء . لا يمكن ان اجد زوجة مثل هذه . أؤكد لكن هذا . فدعنني ابكي ، لان من حقي انابكي !
واستمر يهز رأسه ، وينفخ كتفيه كأن المصيبة قد اناخت بكل ثقلها عليه .

وارادت ليكوديانا ان تعزيه وتشجعه فقالت ـ لكي تجد لك زوجة اخرى ليس عليك الا ان تبحث عنها .

وكان الاشبين ممينو حريصا على ان يكرر قوله ، ورأسه منخفض كالبغل : « كلا ، كلا ! زوجة اخرى مثل هذه لن استطيع ان اجدها . هذه المرة سأظل ارمل ، أؤكد لكن ذلك .

فقالت الاشبينة سيدورا تؤنبه ـ لا تتكلم كلاما طائشا ، فهذا مما لا يليق بك ! الزوجة الاخرى لا بد لك من البحث عنها ، ان لم يكن لشيء فلأجل هذه الطفلة اليتيمة ، والا فمن سيعنى بها حينما تذهبون الى الضاحية ؟ أتريد ان تدعها وحدها في الطرقات ؟

ـ ابحثن لي انتن عنها الزوجة التي تشبه زوجتي تلك ؟ الزوجة التي لم تكن تغتسل لئلا يتوسخ الماء ، وفي البيت تخدمني أحسن من اي خادم ، ولاخلاصها وامانتها لم تمد يدها قط في غيابي الى حفنة فول من السلة ، ولم تفتح قط فمها لتقول « أعطني » ! والى جانب ذلك كله دوطة حسنة تساوي مالا كثيرا ؟ وعلي الان ان اردها لانني لم احصل على ابناء ! الآن قال لي خادم الكنيسة ذلك حينما جاء يحمل الماء المبارك . ولكم كانت المرحومة تحب هذه الطفلة ، التي كانت تذكرها بشقيقتها المسكينة . ان اية زوجة اخرى غير خالتها ستنظر الى هذه الطفلة اليتيمة نظرة السوء .

فقالت ليكوديانا ـ اذا أخذت الابنة الثالثة للاشبين نينو فسيمضي كل شيء على خير وجه ، سواء للطفلة اليتيمة وللدوطة .

ـ هذا صحيح ، ولكن لا تقلن لي شيئا عنه لان فمي ما يزال مرا كالعلقم .

وقالت الاشبينة سيدورا : « هذا ليس حديثا يقال الان ، وخير لك ان تتناول طعاما يا اشبيني مينو ، لانك مضطرب جدا » .

فراح الاشبين مينو يقول : كلا ، كلا ! لا تحدثنني عن الطعام ، فانني اشعر بمثل العقدة في حلقي .

ووضعت الاشبينة سيدورا على مقعد امامه خبزا ساخنا ، وزيتونا اسود ، وقطعة ممن جبن الغنم ، وزجاجة النبيذ ، فراح المسكين يقضم الطعام بطيئا بطيئا ، وهو يدمدم متألما ، بوجهه المستطيل ، ويقول :

ـ الخبز كم كانت تجيد صنعه ، رحمة الله عليها ، بشكل لا يستطيعه احد سواها . لقد كان كأنه مصنوع من السميد ! وكانت بقبضة من الشومر البري تستطيع ان تعد حساء يلحس المرء أصابعه عند تناوله . اما الآن فعلي ان أبتاع الخبز من دكان ذلك اللص المدعو المعلم (بودو) ، واما الحساء الساخن فلن اجده بعد اليوم كلما عدت الى البيت مبتلا كالفرخ الصغير ، ولا بد لي من الذهاب الى السرير بمعدة باردة . حتى في الليلة الماضية ، حين كنت أسهر عليها ، بعد أن قضيت النهار كله أقلب الارض ، وكنت أحس بأنني أشخر في النوم من التعب وانا جالس بقرب سريرها ، قالت لي ، يرحمها الله : اذهب وتناول بعض الطعام ، فقد تركت لك الحساء في حرارة الفرن) . لقد كانت دائما تفكر في ، وفي البيت ، وفي شؤوننا الاخرى ، وفي هذا وفي ذاك ، ولم تكن تكف عن الحديث وعن تزويدي بنصائحها الاخيرة كمن يزمع على سفر طويل . وكانت دمدمتها المتواصلة تصل الى سمعي وانا بين اليقظة والنوم . ولقد مضت راضية الى العالم الآخر ، والصليب على صدرها ، ويداها مضمومتان فوقه . ان هذه القديسة ليست بحاجة الى قداديس او صلوات ، والنقود التي تدفع للكاهن انما تذهب هباء .

فهتفت الجارة ـ دنيا كلها مصائب ! وجارتنا الاشبينة

انجيلا كذلك يوشك ان يموت حمارها مريضا •

فمسح الاشبين مينو فمه بظاهر يده وقال – ان مصائبي اعظم من مصائب الجميع • لا ، لا تدعنني آكل شيئا آخر ، فان الطعام ينزل في معدتي كالرصاص • كلي انت بالاحرى ايتها الطفلة البريئة التي لا تدرك شيئا • لم يبق لك في الدنيا من يغسلك ويمشط شعرك ، والان لن تجدي أما تحضنك تحت جناحيها كالدجاجة ، لقد دمرت حياتك مثلي • لقد استطعت ان أجد لك تلك الام غير انك لن تظفري بعد اليوم بامرأة أب اخرى مثلها يا ابنتي !

فتأثرت الطفلة ، وامتدت شفتها من جديد ، ثم وضعت قبضتيها على عينيها •

فعادت الاشبينة سيدورا تقول – كلا ، لا يمكنك ان تظل هكذا • لا بد من ان تبحث عن زوجة اخرى لاجل هذه اليتيمة المسكينة التي انقطعت في وسط الطريق •

– وانا كيف ابقى ؟ والمهر الفطيم ؟ وبيتي ؟ والدجاجات من يعني بها ؟ دعنني ابكي يا اشبينتي سيدورا ! كان خيرا لو مت أنا بدلا من تلك الروح الطاهرة !

– اسكت ، فانت لا تدرك ما تقول ! ولا تعرف ما معنى بيت من دون رأس !

فشعر الاشبين مينو بشيء من التعزية واجاب – هذا صحيح !

– احرى بك ان تنظر الى الاشبينة انجيلا المسكينة • لقد مات زوجها اولا ، ثم ابنها الاكبر ، والان يموت حمارها ايضا •

فاجاب الاشبين مينو – الحمار يمكن معالجته بالفصد عند مكان الحزام اذا كان مريضا •

فقالت الجارة – تعال انت اذن ان كنت تفهم في هذه الامور • انك بهذا تصنع احسانا عن روح زوجتك المرحومة •

فنهض الاشبين مينو ليذهب الى الاشبينة انجيلا ، وقامت الطفلة تركض خلفه كفرخ صغير ، بعد ان لم يعد لها في الدنيا احد غيره • غير ان الاشبينة سيدورا ، وهي ربة بيت ماهرة ، ذكرته قائلة :

– والمنزل ؟ كيف تتركونه الان ولم يعد فيه احد آخر ؟

– لقد اغلقته بالمفتاح ، ثم ان هناك في مقابلته تقيم ابنة عمي (الفيا) فلن تبخل بمراقبته •

كان حمار الجارة انجيلا متمددا في الحوش ، وكان خطمه باردا ، واذناه متدليتين ، وبين الفينة والفينة كان يرفع قوائمه الاربع في الهواء ، فقد كان الوجع ينفخ خاصرتيه ككور الحداد • وكانت الارملة جالسة قبالته على الحجارة ، ويداها في شعرها الرمادي ، وعيناها جافتان قانطتان ، وهي تنظر اليه شاحبة الوجه كالميتة •

فجعل الاشبين مينو يدور حول البهيمة ، ويلمس اذنيها ، وينظر في عينيها المنطفئتين • ولما رأى الدم الاسود يسيل قطرة قطرة من مكان الحزام من جسدها ويتجمع متجمدا على شعرها الخشن ، سأل قائلا :

– وهل فصدوه ايضا ؟

فنظرت اليه الارملة بعينين مبهمتين ، دون ان تنبس بكلمة ، واجابت بنعم بهزة من رأسها •

فقال الاشبين مينو – اذن لم يعد لي ما اعمله •

ثم وقف ينظر الى الحمار الممدد على الحجارة دون حراك ، وشعر صدره منفوش كقط ميت • وقال معزيا السيدة :

– انها ارادة الله ، يا اختي ، وكلانا في حال واحدة من الدمار •

ثم جلس على الحجارة الى جانب الارملة ، وراحا ينظران الى البهيمة التي ترفس الهواء بقوائمها من حين الى آخر ، كما تفعل الحيوانات في النزاع الاخير •

اما الاشبينة سيدورا فانها بعد ان انتهت من خبز

العجين جاءت هي ايضا الى الحوش ومعها ابنة العم (ألفيا) التي كانت ترتدي ثوبها الجديد ، وتضع منديلا حريريا على رأسها ، لكي تقطعا بعض الوقت في الحديث . فأخذت الاشبين مينو على حدة وقالت له :

ـ ان السيد نينو لن يعطيك ابنته الثالثة ، لان بناته يمتن عندك كالذباب ، ثم يفقد الدوطة بعدهن ، كما ان ابنته (سانتا) ما تزال صغيرة السن ، ويخشى ان تملأ لك البيت ابناء .

ـ ان كانوا من الذكور فلا بأس بذلك ، غير انني اخشى ان يكونوا جميعهم من الاناث ، فأنا انسان سيء الحظ جدا !

ـ هناك ابنة عمك (ألفيا) وهـذه ليست صغيرة السن ، ولديها ايضا حصتها من الارث : بيت وقطعة كرم .

فنظر الاشبين مينو ويداه على بطنه الى ابنة العم ألفيا ، التي راحت تتظاهر بانها تنظر الى الحمار : ثم قال :

ـ اذا كان الامر كذلك ، ففي وسعنا ان نبحث فيه . غير انني سيء الحظ جدا !

فقالت الاشبينة سيدورا تعاتبه ـ فكر في من هم اسوأ منك حظا ، فكر فيهم .

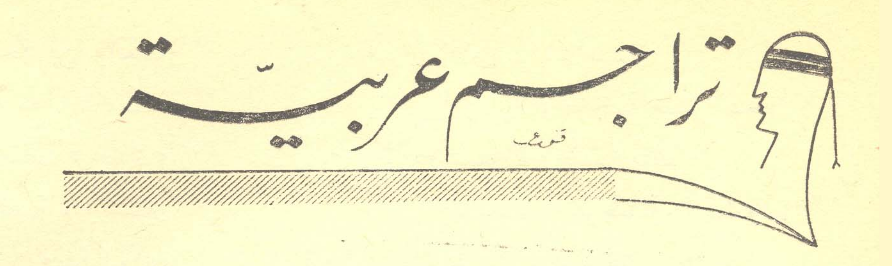
ـ ليس هناك من هم اسوأ حظا مني ، أؤكد لك . لن استطيع ان أجد امرأة مثل تلك ، ولن استطيع ان انساها بعد الان ولو تزوجت بعدها عشر مرات ، وكذلك هذه الطفلة اليتيمة لن تستطيع ان تنساها .

ـ هدىء روعك ؛ ستنساها حتما ، وستنساها الطفلة كذلك . ألم تنس أمها الحقيقية من قبل ؟ انظر الى الجارة أنجيلا التي يموت حمارها الآن ، وليس لديها حمار سواه . هذه من حقها ان تظل تتذكره دائما !

ورأت ابنة العم ألفيا ان الوقت اصبح ملائما لتدنو هي ايضا ، فاقتربت وراحت تكيل الثناء للمتوفاة ، بوجه ساهم ؛ وتذكر كيف وضعتها بيديها في التابوت ، ووضعت على وجهها منديلا من الحرير الناعم ؛ والملابس البيضاء التي كان لديها منها الشيء الكثير . فتأثر الاشبين مينو ، والتفت الى الجارة انجيلا التي لم تكن تتحرك في مكانها ، كأنها استحالت الى حجر ، وقال لها :

ـ ماذا تنتظرين لتسلخي الحمار ؟ انتفعي على الاقل بثمن جلده !

عمان ـ الاردن　　　　عيسى الناعوري



عمر ابو ريشة في المختارات

بقلم [illegible]

قال (افلاطون) مخاطبا « ايون » : (ان الملهمات تلهمك الشعر ، فأنت لا تقدم لنا فنا يفترض الجهد والمرانة ، بل تكشف بآثارك عن هبة منحتك اياها الالهة ، ان ربة الشعر ، هي التي تلهمكم ما تقولون ، وانتم تنقلونه الى الاجيال القادمة من بعدكم ، فينتقل اليهم الالهام عن طريقكم .. تلك حال كبار الشعراء ، الالهام والايحاء المقدس منبع شعرهم ، وهو نبع متعال عن حياتنا ، نحن البشر) .

تلك منزلة الشعراء عند افلاطون ، وهو الذي طالب بنفيهم من « مدينته الفاضلة » ، اما في الجزيرة العربية فقد كانت القبيلة من العرب ، اذا نبغ فيها شاعر ، أتت القبائل فهنأتها ، وصنعت الاطعمة ، واجتمع النساء يلعبن بالمزاهر كما يصنعن في الاعراس لانه حماية لانسابهم ، وذب عن احسابهم ، وتخليد لمآثرهم ، واشادة بذكرهم .

فما هي منزلة عمر ابي ريشة في عصرنا الحاضر ، بالنسبة للشعر والشعراء ؟ .

للجواب على هذا السؤال لا بد من دراسة آثار الشاعر وآخرها « المختارات » وهي عبارة عن مجموعة قصائد اكثرها قديمة ، تمثل تاريخ الوثبة العربية الحديثة اصدق تمثيل ، في كبوته وتقدمه ، في ضعفه وقوته ، ولا غرو ، فالشاعر رفيق النضال لتلك الثلة من الرجال الذين قادوا سورية ابان عهد الانتداب ، فجاءت قصائده رجع الصدى لذلك الجيل الشامخ ، جيل هنانو والجابري والغزي ، وقد تجاوب الشعب معه فأصبحت قصائده اناشيد الكفاح واهازيج المعارك ، تتلقفها الاسماع ، فتهتز لها اوتار القلوب ، لان الشعر عنده ليس فراغا يملأ بالالفاظ وانما هو مشاعر واحاسيس وحياة لجبة صاخبة ، فيها قوة مثيرة ، كأن عمر مجداف اهدته الطبيعة الى سورية ليحرك سفينتها ويقودها في محنتها حين كانت تغوص اقدامها في ذل الاستعمار الفرنسي ، وان قناته لن تخضد شوكتها الاحداث ، والزمن مهما عصف به لن يلين .

عندما نظم عمر قصائده التي ضمنها « المختارات » طلع على دنيا الشعر بفن جمح فيه الى ميادين الشعر الغربي ليضيف الى الصورة اطارا شعريا يمهد لها ويحيط بها ، ويفرش بين يديه الورد والزهر والريحان ترى الى الملامح الصوفية الموروثة ، والعقيدة الملتزمة الصافية ، يدغدغ بريشته معانيها ويبتكر بشاعريته روائع اللوحات .

شعر عمر يتراوح بين موضوعين ، ازليين هامين : المرأة ، والوطن ..

المرأة عنده موضوع كبير وكيان هام تماما كالوطن ، كلاهما يحتاج الى ثورة ونضال للحفاظ عليهما والذود عن شرفهما .

في مسرحية « عذاب » يعرض لوحة من واقعنا الاجتماعي تصور اصطراع القيم الحديثة مع التقاليد الموروثة ، وهي من حيث البناء المسرحي للقصة ، جيدة ، محكمة ، تدل شخصياتها على نباهة فائقة ، ويشير موضوعها الى فكر لماح ، اما الوقائع فهي رديفة الواقع وليست هي الواقع بعينه ، ولكنها على كل حال تصور « الواقع الشعري » الذي يمكن للفنان ان يلتزمه ليحافظ على التوازن الضروري بين المبنى والمعنى .

اما النقلات الخفيفة والمواقف القصيرة التي وقفها ابطال المسرحية فهي على العكس تماما من مطولات شوقي واباظة في مسرحياتهما الشعرية المسهبة .

وعلى الرغم من وجدانية الموضوع فقد اشتملت على بعض الصور الجميلة ، وان كان دور الخيال محدودا فيها بالنسبة لقصائده الاخرى .

وقد حافظ على قوانين أرسطو الثلاثة في المأساة (وحدة الزمان والمكان والعمل) ، فبدا تسلسل الحوادث واقعيا وطبيعيا من حيث الزمن ، كما دارت المسرحية حول عمل واحد تمركزت حوله الاحداث الجزئية الاخرى ، لتتضافر في خلق الجو الضروري للمسرحية وعقدتها الرئيسية ، وهو كشوقي في استهدافه للمثل الاخلاقية وان كان في تصويره للمحسوسات وايراده للحوادث اقوى من تحليله للعواطف وتعبيره عن خلجات النفوس ، والمسرحية بشكل عام نسجت على المنوال الغربي وبصورة خاصة الفرنسي .

اما في قصيدة « خالد » فقد تمرد الشاعر على البيت الواحد لان الموضوع في رأيه يعتمد على وحدة القصيدة ، وما البيت سوى لبنة في البناء العام ، كما هو الحال في الشعر الجاهلي وخاصة عند اصحاب المعلقات ، وقد بدأ القصيدة بمخاطبة راويات الزمان عن المآثر الخالدة ، والنفحات المشرقة ، في معان مجنحة ، وتفاعيل مموسقة ، كجوقة في غابة تحمل الريح منه الى الاذان صوتا بعد صوت سيمفونية متناسقة :

لا تنامي يا راويات الزمان
فهو لولاك موجة من دخان
تتوالى عصوره وبها منك
ظلال طرية الالوان
انه ابن الوليد زغردة النصر
وانشودة الجهاد الباني
صدق العهد فالفتوح توالى
وصدى خالد بكل مكان
اينما حل فالمآذن ترجيع
آذان المهيمن الديان

لقد عرف عمر كيف يحيل الحقائق التاريخية الى صور مثيرة ، تتلاعب بالعواطف والمشاعر ، عرف كيف يجوب التاريخ وكيف يجوب حقائق العصر في رباط وثيق ينير للمواطن طريق المستقبل على هدى الماضي ، عرف كيف يهيج ذكرى الانتصارات والفتوحات في وقت ترزح فيه البلاد تحت وطأة الاستعمار لتحس بالبون الشاسع بين ما كانته وما آلت اليه ، روى في ماضيه كل شاعريته وشعوره وغلى الدم الفوار كالحب في تفصيلات حياة الشاعر وكانت حياته متخمة بالرؤى والاحلام والحقيقة وبكل جمال .

ومقدمته للملحمة النبي « محمد » تصور حالة العرب في جاهليتهم وبعد اسلامهم في قالب بدوي الطبيعة والطباع بما في البداوة من صفاء ونقاء وكرم ورمال وصحراء وفي هذا الازدواج العنيف بين البداوة والحضارة تصطرع القيم والمفاهيم وتتوارد الخواطر والصور في حيوية معبرة تجعلنا نحس مع الشاعر بدفق الاحاسيس وصخب المشاعر وثورة الحياة :

أي نجوى مخضلة النعماء
رددتها حناجر الصحراء
سمعتها قريش فانتفضت
غضبى وضجت مشبوبة الاهواء
يوم بدر يوم اغر على الايام

باق ان شئت او لم تشائي

ركــز الله فيــه اسمى لواء

وجثا الخلد تحت ذاك اللواء

فأعيدي مجد العروبة واسقي

من سناه محاجر الغبراء

قد ترف الحياة بعد ذبول

ويلين الزمان بعد جفاء

نفحات من الايمان تسمو بنا الى اجواء روحانية تلفحنا بها أبيات الشاعر بما فيها من اشراق البيان وجمال المضمون ، يحركها بريشة مطواعة فنانة شابة تدغدغ اللوحة فاذا بالخطوط الجامدة تتكلم واذا بالشاعرية المنمقة تعزف في كل بيت الحان الذكريات •

في دروب الحياة سار الشاعر مع ابيه كصديقين وفي غفلة من الزمن تلفت من حوله فوجد نفسه وحيدا في هذه الدنيا التي لم يرها اتسعت الا لمضطجع والده ، لقد بكى عمر أباه عندما رآه في طريقه الى التراب ، بـكاه بدموع الوفاء التي ضاقت بها عيناه فغدت موعدا فـي أمسية يترقبهما ليسألهما عن ابيه والسر الذي أودى بأبيه ، انها صورة في الرثاء فريدة :

ناداك تحنـاني فمـا أسمعك

فاذهب فداك الشوق قلبي معك

سرنا معـا حينـا وخلفتني

وحدي ••على الدرب الذي ضيعك

ارنو الى الدنيـا وآفاقهـا

فمـا أراهـا جاوزت مضجعك

حسبي منهـا موعد في المسا

أفهم فيــه سر ما استودعك

ان الناحية التصويرية ابرز سمات شعر ابي ريشة فهو لا يستطيع ان ينظم دون ان يحشد الاطياف والاشباح ، يعرضها بمناظرها ومفاجآتها ، ويعـرف كيف يباغتنا بالاشباح المثيرة ، كما في قصيدة « ظل » التي استوحاها من منظر صرح روماني قديم استرعى انتباهه بخلوه من الشوك وتألق احجاره النظيفة فهمس في نفسه : ان الموت ليقف امام ضحيته مجروح الكبرياء لانه لا يستطيع ان يفتك بها اكثـر مما فتك كما قال الشاعر الجاهلي تأبط شرا :

فخالط سهل الارض لم يكدح الصفا

به كدحـة والموت خزيان ينظر

فهو يصف مشاعره ويفصح عن ذهوله امام روعة المكان ثم يصف اجزاء القصر ويستعيد تاريخه الغابـر وجبروته وتحديه للموت حتى وقف امامه خجلا فاصبح الموت نفسه ينشد الانتحار حياء وخجلا •

هذه القصيدة نموذج رائع للادب الرمزي المتسم بميسم الابداعية فالشاعر يرمز الى نفسه خاصـة والى النفس الانسانية بشكل عام من خلال حديثه عن القصر الروماني وروعته وتحديه وجبروته ، فقد رمز ببعض الكلمات الى معان بعيدة يمكن ان تفهم من سياق الكلام وثنايا الابيات • والقصيدة بمجموعها تعتبر وحـدة عضوية ، وهي عنيفة الصور متوثبة الخيال ، تعتمد عـلى تضخم العواطف واسترسال الصور والخواطر •

وعـلى الرغم مـن ان موضوعها سبق ان طرقـه البحتري عندما وقف على اطلال كسرى ، فان شاعرنا قد نجح في عرضه باسلوب جديد مشوق ، حيث تخيـل نفسه مجسدة في اطلال الرومان التي يصفها وهو يستنطق الجمادات ويجسدها متخذا من جمودها تارة وحركتها تارة اخرى ، وسيلة للتعبير عن مشاعره ، وقد استوفى عناصر الابداعية من حيث الموضوع والعاطفة الطبيعية ، كما ان الرمز اللفظي نلحظه في هذه الابيات كما في نسبة الزمن الى حوافر الخيل وبقوله : (فما يرضع الشوك مـن صدره) يدل على ان القصر استعصى على الغزاة وتحدى الفناء ولعله استلهم المعنى من قول ابي تمام (بكر فما افترضها قط حادثة) وقوله (اكانت تسيل عليه الحياة)، تعبير رائع يثير افكار وخواطر عديدة في الذهن •

ولعل شهرة الشاعر باسفاره الكثيرة وحبه للشعراء

الغربيين وتأثره بأدبهم وثقافتهم هو السبب في التوهم باقتباسه الصور عنهم مع ان الصورة الشعرية في هذه القصيدة مثلا مقتبسة عن الشاعر الجاهلي تأبط شرا .

من الالوان الاخرى التي برعت ريشة عمر في تخليدها لوحات حية ذلك اللون الثائر في وصفه الذي لا يلحق به لمآثر الابطال العرب وتقديره لمن حملوا السيف والحق ضد الغاصبين امتزج فيه الاعجاب بأصحاب الصرخات الوطنية بالوفاء للوطن والمجاهدين فغنى امجاد سورية وآمال العروبة بشعره الرائع المتدفق ايمانا ووعيا ، ورددت الجماهير غناءه على انسجام مع مجنح اللفظ حلو التصوير عذب الجرس وصادق الحس وقصيدته « بلادي » في رثاء سعد الله الجابري كانت الدمعة الحرى في رثاء البلاد كلها لان مصاب الشاعر بسعد افدح من ان يحمله وحده ، وليس كالارزاء شيء آخر يجلو النفوس ويثير القرائح ويفك عقال الالسنة فتنطق عن تجربة ، وتفصح عن اختبار ، لقد صور البلاد كلها مستخلصا حكمة خالدة من حياة امته وموت سعد ، تدل عليها حوادث التاريخ ووقائع الايام في تلك الحقبة الخصبة من الزمن ، صاغها باسلوبه العميق الواضح فكان مما قاله :

هكذا عاودت بلادك يا سعد
الليالي ، بكل واری الزناد

انها سنة الوجود فشعب
لبقاء وآخر لنفاد

فعلى الحادثات ان تتوالى
وعلينا الوقوف بالمرصاد

واذا كان الشاعر على خلاف سياسي مع سعد في بعض آرائه فان نظرة الاكبار والاجلال ليست مفقودة بينهما ولئن انتقده مرات ومرات فلأنه يريد ان يكون فوق كل انتقاد باعتباره معقد الآمال في تحقيق الحرية ونيل الاستقلال .

انا يا سعد ما طويت على اللؤم
جناحي ولا جرحت اعتقادي
شهد الله ما انتقدتك الا
طمعا أن أراك فوق انتقاد
وكفى المرء رفعة ان يعادى
في ميادين مجده ويعادى

لقد كان الربط قويا محكما بين تاريخنا الاثير ، وواقعنا المؤثر في تلك الابيات القليلة ذات الالفاظ الايحائية الضخمة ، والخيال الخصيب الرائع ، وهو حينا جرب اثارة عواطف الامة ودب الحمية بين صفوفها بلغ منتهى الابداع ، ولا غرو فأبو ريشة من أوائل شعراء العروبة وشعره يمثل تاريخ النضال في سورية وغيرها من البلدان العربية الثائرة .

كما ان اللونية الفنية للابيات بارزة ، موفقة حيث عمد للتقديم والتأخير تارة ، وللتوشيح بالاستعارات والتشبيهات تارة اخرى دونما صنعة او تكلف مما اضفى على شعره طابع التأثير في المواقف العظيمة ، لا سيما كلماته الرقيقة ، وتنويعه الاسلوب بين خبر وانشاء في قالب يسمو بالعواطف الجياشة الى صعيد الوطنية الصوفية وشعره حبيب الى الاذن والعقل والقلب جميعا ، فهو مجنح يطير الى آفاق بعيدة يعطر ارجاء الابيات ، وجوانب الكلمات واطراف الحروف .

في قصائده يطل الوصف المنمق من كوى تعرض فيها اللوحات التي ابدعتها ريشة الرسام وقريحة الوصاف ، والمرأة في قوافيه ومعانيه تلعب الدور الاول فهي وراء كل تنقلاته بين نجوم الشعر والليل ، واستغراقه في الماضي ، في صباه وندماه ورؤاه ، ان شاعريته المحلقة فوق مطارح النجوم والليل نزاعة الى التجديد في رصانة ، فالموهبة الناضجة قد صقلها التمرس الحقيقي في فن الشعر ، وقصيدة « مراهقة » التي اتبع فيها نظام التخميس فجعل أبياته من خمس شطرات بدل الشطرتين كما عمد الى تعدد القافية ، هذه القصيدة من

النماذج الجيدة في الشعر العربي المجدد :

شئت فغنيت كما تشتهين
وكنت لا تصغين بل تحلمين
يا للأماني ويا للحنين
حسناء لا تفضي بما تكتمين
ما بيننا قافلة من سنين
انا السرى في المنحنى المبهم
وانت حلم الطيب في البرعم

لقد أدرك الشاعر فارق السن بينه وبين هذه المراهقة بعد ان وخط الشيب في فوديه ، فحاول ردعها ليبقي على العود الطري الغض لاهله ، مما يدلل على تعقله ونبله ، وكأنه يريدنا ان نتمرد على الغرائز لنصعد بها ونسمو الى حيث يجب أن تكون ، ولعل قصيدة « هكذا » تؤكد على الهدف الاسمى الذي يرمي اليه ، حيث صور فيها سلطان احدى المحميات البريطانية في مغامرة طائشة مع شقراء عابثة وبعد أن يصف قوامها الجذاب وجمالها الصارخ وانوثتها المتدفقة في خيال خصيب مسترسلا في تداعي الحوادث والصور ، اذا به يرتد فجأة الى بطاح فلسطين في عنف وقسوة لينبه الى أن انشغال الحكام باللهو والترف والمجون هو الذي اضاع فلسطين ، وحينما يذكر مبلغ الستين ألف دولار التي استنزفتها هذه العشيقة الشقراء من دماء الشعب البائس ، ثمنا لبضعة ليال حمراء مع الجسد اللعوب الرخيص ، يختتم قصيدته متهكما :

هكذا تقتحم القدس على غاصبيها .. هكذا تسترجع !!

لقد وضع الحقيقة تحت العين المجردة والعقل النافذ الى ما بين الاسطر ، الى ما وراء المعميات والالغاز والاسرار ، ففي صدره ثقافة محيطة في ميادين شعرية جديدة ، لقد كان « معبد كاجوراو » بالنسبة للشاعر ملعبا من ملاعب عبقر وقف فيه فصال وجال بين الهياكل والاعمدة والتاريخ والفلسفة ، رأى الانسان كما هو في ازدرائه للحياة وتقاليدها ، عندما يتدنى الى الغريزة الهوجاء ، يوليها عنايته واهتمامه ، فتكلمت الاعمدة والنقوش ، وكانت القصيدة من أروع ما جادت به قريحة الشاعر ، فقد ضمنها خلاصة آرائه في الفن والاباحة والانسان ، وحلل فيها الاهواء الجنسية الطبيعية والشاذة والخيالية ، تكلمت المعاني والقوافي في الرسم والنحت ومع الطبيعة الشاعرة والجمال الهادىء الممتزج بصخب الحياة وجناتها وما تلفه من المطارح والمطان وقف الشاعر فخاطب المعبد وساءله عن الامان ومن وهبه للآخر .. هو أم الزمان ؟

ثم ذكره بصموده في وجه الغارات .. وكم تكسر على صخرة صموده تاج وصولجان ، وتنقل بين التماثيل والنصب التي تكاد تضج بالحياة ، فاذا به ذاهل للرخام كيف يعيش عيشة الآدميين .

وفي غمرة هذه المشاهد الحسية النابضة بدفق العواطف لا ينسى تقاليده الشرقية ، فاذا بالتماثيل تنطق بخلجات فكره ، وبعد أن صور الحياة في مباذلها عاد ليضفي عليها جوا من السمو والمثالية في رحاب الفن :

كاجروا هل من حرمة
لك عند رائيها تصان
مزقت أقنعة الحياة
وما عليها من دهان
وجلوتها في عريها
فترفعت بعد امتهان

ان الشاعر ليسخر من هذه الحياة التي جسدها بأهوائها وغرائزها ، بخيرها وشرها ، ولكنه مع سخريته ، يبقى بادي التفاؤل ، شديد الثقة بأن الخير لا بد أن يتغلب على الشر .

وعلى الرغم من أن موضوع القصيدة مطروق قديما فلم يغادر الشعراء متردما ولا طللا الا وقفوا يستنطقونه الذكريات لكن الجدة في الصور فهي ليست هائمة ولا واهمة تجري في خلاء أو فراغ وانما صور حية معبرة لها دلالة وفحوى ، فالتصوير ركيزة اساسية من

ركائز فنه ، وهو ما هر في ضم الخط واللون الى جانب الظل والضوء في لوحاته مما يحدونا لتذوق الانسجام والفن ، وقصائده الوصفية هذه أشبه بالسياحات الكبيرة حيث يحلق بخيالنا في متعة تدفعنا لان نقرأه على انه غذاء فني نتمثله لنضيف الى ثروتنا الفكرية زادا جديدا يشد النفوس ويقوي العزائم .. ولا غرو فقصيدته هذه نفحة شعرية لم نسمع لها مثيلا منذ البحتري وهي تدل على نفوذ الشاعر وراء الاشياء وفهمه لها ولاسرارها فهما عميقا ، وتطويعها في شعر أخاذ يأسر القلب ويمتع النفس .

ان « كاجروا » دليل واضح على ما للسفر والاغتراب من أثر بعيد في تبلور الشعر وأصالة الشاعر لما فيها من توسعة في العقل وزيادة في المعرفة وحب للمغامرة ، واندفاع للعيش والمتعة في مرابع الجمال والحياة والناس .

ان عمر مدين بشاعريته لعوامل عدة ، فقبل الاسفار الكثيرة التي قام بها نجد ان المناخ الذي نشأ فيه ، مناخ روحي هيأه للخلق والابداع ، نظم الشعر مبكرا لانه وجد فيه مجالا للتعبير عن مكنوناته وأحاسيسه ، فنظم الشعر من زاويته الخاصة وظل موقفه من الوجود مقتصرا على الزوايا الفردية دون أن يتجاوزها الى أفق الانسانية بشمولها ورحابتها ، ولو انه نجح في التعبير عن المجاري الانسانية الكبرى عن طريق التعبير عن ذاته الانسانية لكان واحدا من أخلد شعراء الانسانية ، وان كانت بعض قصائده كقصيدة « كاجروا » تجمع الى جانب العطاء الخير ، والكلمة الموحية ، والاحساس المشبوب ، والفكر النير ، التفاتات عابرة تعبر عن تجربة حية معاشة ، وموقف انساني ملتزم .

ولعل قصيدة « نسر » هي القصيدة الوحيدة التي تعبر عن نفسية عمر ، فتكشف عن التناقض ما بين سلوكين : السياسة والفن ، وقد نظمها الشاعر عام ١٩٣٨ في غمرة النضال اللاهب الذي كانت تخوضه سورية ابان عهد الانتداب الفرنسي الاسود ، وهي قصيدة رمزية يقول في مطلعها :

اصبح السفح ملعبا للنسور
فاغضبي ياذرى الجبال وثوري
ان للجرح صيحة فابعثيها
في سماع الدنى فحيح سعير

ويخاطب ذرى الجبال – المأوى الطبيعي للنسور – فيناشدها ان ترمي صدور العصور ببقايا النسر ، لانه لم يعد يتمكن من التحليق فوق اجواز الفضاء ، بعد أن هجر وكره في حالة ذهول وصدمه الواقع فأمات شعوره ، وحد من شموخه .

ويتوجه بالخطاب الى الطيور الاخرى فيقول لها : لا تغرنك مهابة النسر وهالة العظمة التي تحف به فانها ليست سوى فضلة الارث المتوارث من سحيق الدهور .

اما النسر فيصوره وهو يتلوى من جوعه فوق شلو منثور على رمال السفح ، يتدافع مع بغاث الطير ليقتسمه معها وعندما تراه البغاث يشاركها نصيبها تستنسر وتدفعه بمخلبها الغض وجناحها القصير ، وهنا تسري في النسر رعشة من جنون الكبر فيمضي الى الافق بهيكله المنخور ، وتجلجل منه زعقة حرى كأنها صرخة الموت ، يهوي بعدها ، لكن على الذروة الشماء في حضن وكره المهجور .

اما بيت القصيد ففي خاتمتها حيث يقول :

ايها النسر هل اعود كما عدت
ام السفح قد أمات شعوري ؟

انه لسؤال يطرح نفسه ابان تلك الحقبة النضالية من تاريخ سورية ، فالسوري الذي ما عرف المذلة ولا نام يوما على الضيم ، حامل مشعل الحضارة ، معلم البشرية ، رائد الاجيال ، اصبح ينوء تحت وطأة الانتداب ، بحجة قصوره عن حكم نفسه بنفسه !!.

ما أشبه السوري ذاك بنسر الشاعر ، كلاهما نزل عن عرشه ، غادر الذروة الشماء لينزل الى السفوح الواطئة فاذا به يتعرض للمهانة والمذلة ، ولكن للنسر كرامة ان كانت نائمة فقد ايقظتها اعتداءات بغاث الطير ،

فضرب الاجواء بجناحيه واستجمع قواه ليبلغ وكره العالي الذي لا تطاله الجوارح ليغفو هناك اغفاءته الابدية قرير العين ، محفوفا بالعزة والكرامة ، اما السوري في تلك الفترة فهل يعود كما عاد النسر ام ان السفح قد امات شعوره واستمرأ عيش الذل والهوان !!

ان الاتجاه الرمزي في موضوع القصيدة وصورها ومعانيها واضح كل الوضوح ، بل ان الفاظها تميل للرمزية ، لولا ان الشاعر قد ذيل قصيدته بتاريخها لاستعصى فهمها على الكثيرين ، وموضوع القصيدة قومي كما انها تهدف الى غاية وطنية ، لذا كان يحسن بالشاعر لو تبسط في الاداء لتكون في متناول الجماهير ولتؤدي للغاية التي استهدفها ، وان كان وجود المستعمر في البلاد دافع كبير للتعبير عن المشاعر الوطنية في قالب رمزي .

ولئن كانت المقارنة بين السوري والنسر فكرة شعرية جميلة نادرة فان اختيار النسر بالذات ينطوي على ضعف من ناحية المعنى ، فالنسر وان كان من اقوى الطيور اطلاقا واكثرها ضراوة وبسالة في مقارعة خصومه فان نفسه لا تأنف من اكل الجيف واللحوم الميتة في حين ان العقاب ، وهو الذي اتخذه السوريون رمزا لهم ، يجمع الى جانب القوة والبسالة والصمود ، الانفة ، فهو لا يأكل الا من لحم فريسته .

ومهما يكن من امر فان في شعر عمر نكهة مستملحة قلما يقع عليها في شعر سواه ، كما ان الغموض الذي يغلف بعض معانيه لا يمنع وهجها وتألقها عن الانظار .

وان قصائد عمر تتيح للناقد مجال القول بانه جاء بجديد ، وان الشاعر قد دخل الميدان مزودا برصيد ضخم من الاصالة الشعرية المتفوقة ، وانه يريد ان يهب الى امته من ثروته ما يرى انها مفاهيم شعرية تنطلق من اسار المفاهيم القديمة التي كانت مفروضة المعاني والقوافي .

وعمر بمفاهيمه الشعرية هذه يعتبر مدرسة فريدة الاسلوب ، غمس الشاعر ريشته في معينها فابدع من وحيه وعبقريته اللوحات ، وغمس غيره ريشتهم في نفس المعين فكان نتاجهم ضحلا ، ذلك لان الشاعر يتخذ من امسياته المضمخة مع الحسان ، بالطيب والشعر ، ومن رحلاته واسفاره ، من ايمانه ووطنيته ، مصدرا للشاعرية ، ورسالة الادب عنده افق بعيد وميدان الهام عريض .

من دراستنا الهادئة لقصائد الشاعر في « المختارات » نستطيع ان نقيم منزلة عمر ابي ريشة بالنسبة للشعر والشعراء في عصرنا الحاضر وفي وطننا العربي على سبيل الحصر فنقول : انه يمثل طليعة الشعراء العرب !

موفق بني المرجة

بين الخيال والحقيقة

* شعر : احمد علي حسن

في غير كأسك سلسلي وشرابي
فانفح سواي بهذه الاكواب

اكواب احلامي تسلسلها المنى
ريانة النفحات والاطياب

دفق الحياة تموج في صهبائها
ومناعم الندمان والشراب

يزن العقول اذا استقر سلافها
بالعقل بعد سفاهة وثغاب

وغفت يهدهدها الحنان بخاطري
كالطفل بين حلاوة وعذاب

بين الخيال وما تكن مشاعري
هتفت مشاكل حيرتي وصوابي

الصدق من حججي بها ووسائلي
والحق من عللي ومن اسبابي

فتشت عن وله العقول وما لها
بالخير من وطر ومن آداب

ووقفت ابحث عن مصير قوافلي
عن درب ظاعنتي بها وركابي

أأراه في الفجر الندي يزفني
بلل الندى سحرا مع الاعشاب

وأراه يبسط في الضحى ظلا به
القيت وأد فتوتي وشبابي

ويطل في الافق البعيد قناعة
قدسية في خاطر المرتاب

ونشيد عاطفة يرف مع الدجى
حلو الاداء بمزهر ورباب

ولمحت بارقه خيالا مترفا
قلقا يجامل خاطري ويحابي

تتثاءب الاحلام في اجوائه
وترف بين صبا وبين تصاب

ودلفت فيه الى النعيم فضمني
مع كل فاتنة السفور كعاب

ورأيت ادواحي به وخمائلي
ووردت جدول مائه المنساب

وجريت فيه مع الخلود يلفني
والف احقابا على احقاب

ولمحت ابليسي به وغوايتي
وسمعت تسبيحي به ومتابي

سلني ، وقد عصف الغموض بدقتي
من خلف عاصفة الغموض جوابي

علقت بأنوار الحقائق مقلتي
وغفت على اشعاعها اهدابي

وخطبتها بحثي فزان بيانها
بحثي ومنطق حجتي وخطابي

ولربما هبطت على احبابها
صورا ملونة من الاحباب

يوحي اليقين شبابها وجمالها
فترى الصبا وترى الجمال السابي

والى مشارفها القصية ينتهي
بالقصد كل مسافر جواب

فاذا الحياة على شفير متاهها
مزجت شراب كؤوسها بسراب

تقف النبوة من وراء حجابهـا
ولهى مغلفـة بألف حجـاب

ماذا رأى موسى بجذوة ناره
اذ راح يقتبس اللهيب الخابي

وكأن واديه المقـدس لم يكن
من بعض حصباء وبعض تراب

ياصاحب الناموس عفوك لاتسر
بالنعل فوق مشـارف وروابي

تؤذي قداسته ، فليس هضابه
تزرى ككل تنوفة وهضـاب

وسل الحواريين كيف دعى لها
عيسى وراء شريعـة وكتـاب

عفو ابن مريم ، واتخذ انجيله
نهجـا الى الاخـلاق والاداب

هي من ابيه ، وقد دعاك بهديها
لأبيه ... مضمونا بكل حساب

هبط المخالف من ذرى ملكوته
ملكوتـه للخاشـع الاواب

فأنزل ببيت ابيـه ، لا بمغارة
وقف اللصوص بها على الاعتاب

ولقـد تعهدها النبي محمـد
للعاكفين هنـاك في المحـراب

كفل الحيـاة لتابعي آياتـه
الفوز في العقبى وحسن مآب

الحـكم لله العلي مصـيره
وقضى على الازلام والانصـاب

وجنانـه للمؤمنين عريضـة
مقطوفة الثمـرات والاعنـاب

هيهات ينعم في شهي جنائهـا
عبد مريض القلب والاعصـاب

وتغلغلت عبر النفوس يزيدهـا
القـا شهاب آخـذ بشهاب

الفيلسوف يجول في صحرائهـا
لهفان ينهض بالخيـال الكابي

ما كان سقراط الحكيم بغيرها
لليتـم مزدريا ، ولا للصـاب

قد راح يبذلها هناك مذاهبـا
للبـاحثين ، عصية الايجـاب

وابى سوى الموت الزؤام لاجلها
فمضى يهش لنـازل منتـاب

ورأيتها ، وقد استشف جمالها
في نفسـه الكندي والفارابي

نزلت على ركن الحيـاة بعقله
وغفت هناك قريرة الاهـداب

وعنا لجوهرها القـديم فؤاده
من لا يهيم بجوهر خـلاب ؟

نعماء .. ياروح البيان امنقذي
سفري اليك وغربتي وطـلابي

اوغلت ابحث في العقول ولم اخف
بيتهـا وراء مسالكي وشعابي

سبحان من خلف العقول ، وشاءها
للسلب اونـة ، وللايجـاب

واراد تمحيص الحقائق عندها
وازالـة الاشكال والاغـراب

فيهـا لمحت هدايتي وغوايتي
وبهـا عرفت مثوبتي وعقابي

احمد علي حسن



غريب احساسه الليلة ، ومدهش انقلابه المفاجيء ، وسعيد هو لتفتح احاسيسه على هذه الصورة الرائعة ..

قلبه الذي كان هادئا ، نائما ، كئيبا ، في ظل خوفه ، خوفه الذي لا يبرره منطق يدق بقلق واضطراب وفرح ... اذ انقشع الخوف عن سمائه ، وانزاح الضباب من اجوائه ... الساعة تطوي صحراءها الزمنية وعيناه مصلوبتان الى العقربين ... منذ اسبوع كامل وعيناه ما تزالان مصلوبتين الى العقربين ... بوده لو يرفع يده ويحرك العقربين المعلقين في الصحراء ويجتاز بهما هذه الفلاة اللامتناهية ، الى حيث يريد ان يصل الزمن ... وان يقف العالم ...

اللهفة تزداد في اعماقه ، والشوق يطل من تحت اهدابه ...

وجنتاه تصطبغان بالحمرة ، كفتاة صغيرة ، اثملها الغزل واسعدها فلون منها الشفة ، وضرج الوجنة ، بعد ان اخجلها الغزل ...

شفتاه ترقص اطرافهما ، باختلاجات سريعة متتالية و يداه ترتعشان كشيء صغير ، يطفو على سطح عالم مضطرب ... وعيناه تدوران في جنبات العالم الفاسق في أحضانه ، دون ان تهتديا الى نجمهما ، وما زالتا تبحثان عنه ...

لقد نضى عن قلبه ، دثار السكون ، والسكينة ، ومزق بلادة احاسيسه ، وبدأ يتطلع من جديد الى حيث يتمنى ان تحط العقارب رحالها ... وان يستريح هو في احداق مطمئنة ...

كانت صورة كاملة ، عن صورة لها ، بعثتها الى ذلك الرجل ، الذي ينتظر وصولها الان ... وصور كثيرة ، كان يلتقطها لرسائلها الى ذلك الحبيب ، محفورة في صفحات الخافق في صدره ... ما زال يذكر جيدا ، وجهه الحانق ابدا ، وهو يقرأ الرسائل ، كل الرسائل ، التي تجتاز حدود بلاده ، داخلة اليها وخارجة منها .. لم يكن ليجد لذة في قراءتها مطلقا ... وكلما امسك بواحدة منها ... تذكر درس الفيزياء ، الدرس الذي كان يفرض عليه فرضا ... الدرس الذي كان يتمنى لو انه يمحى من برنامج كل صف ، ينجح اليه ، ولكنه هنا لا يستطيع ان يتمنى ان تمحى قراءة الرسائل من الوجود لانه لوفعل ذلك وتم له ماتمنى ، لبقي دون عمل . ولهذا كان مضطرا ، لقراءة الرسائل كما كان مضطرا لدراسة الفيزياء ...

دون ريب ، كان عمله ثقيلا على نفسه ، ومع ذلك بدأ يألفه ... والعادة أيضا بدأت تستأثر به ... حتى انه نسي كل احاسيسه حتى تذمره من قراءة الرسائل ، قد توقف ...

مرة واحدة ، مرة لا يمكن ان ينساها ، قرأ رسالة ، رسالة فريدة ، رسالة من امرأة يخفق قلبها لرجل ... رسالة لم يستطع ابدا ان ينساها ... حتى انه تخيل صاحبتها ... ولون لها احداقها ... وصاغ شكلا لعيونها ... وصبغ ظلا لاهدابها ، ورسم حدود شفتيها ، بعينيه رسم حدود شفتيها .. بأحساسه شكل احداقها ، بعواطفه صاغ ظلال اهدابها .. حتى الف نفسه هذه الانثى ... الانثى التي لا تشبهها اية امرأة اخرى ... حاول مرارا ان يقنع نفسه ، انه لايعرفها ، لايعرفها

ابدا ... ولكن شيئا ما في داخله جعله يحس الغيرة ، ويعرف الحسد .. يحسن الغيرة ، من الرجل الآخر .. الرجل الذي ربما كان يملك وجها ، اكثر جمالا من وجهه ، بدأ يحس الغيرة ، لانها لا تعيره التفاتا ، بقدر ما تمنح الآخر ... الآخر الذي تمنحه كل خفقات قلبها ... وشتى دقائق مشاعرها ... وبدأ يحس الغيرة لانها لا تهمس باسمه بقدر ما تهمس باسم الآخر ... انها لا تهمس باسمه هو مطلقا ...

كل ما في الامر ... أن رسائلها تمر عليه ... رسائلها ليست له ، ولكنه يقرؤها ، ويحس كما لو انها كانت له ... حبها له ، لم يكن يصيبه منه شيء ، الا بالقدر الذي يتخيله هو ...

منذ ان بدأ يقرأ رسائلها ، بدأت الرسائل الاخرى ، تتنفس الصعداء ، فقد انتهى عهد الكسل لديه وعهد النوم لديها ... لم تعد الرسائل تصل متلكئة الى اصحابها ... فقد عانى مرارة الانتظار ككل الذين ينتظرون رسالة ، واصبح لديه متسع من الوقت ليقبع مع رسائلها في عالم خاص يضمه مع رسائلها .. رسائل المرأة التي تكتب له ولرجل آخر ... المرأة التي يحبها ويغار عليها ... ومع ذلك يرسل كتبها للرجل الآخر ... الرجل الذي تحبه تلك المرأة ... المرأة التي لا تدري عن مدى كلفه بها شيئا ...

دوامات من الاحاسيس المتباينة ، وحلقات من اللهفة والشوق ، والقلق ، ودوائر من الغيرة والالم ، وومضات مشرقة بالحب ، مورقة بالسعادة ، وعوالم من الضياع ، تفرقه ، ترتسم على وجهه المكب على الرسالة فوق المكتب .

وجهه الذي يعرف مقدار قبحه الحقيقي ... وجهه الذي يباعد بينه وبين المرأة ... حتى المرأة التي يحس احيانا انها تكتب له ، ويعرف جيدا انها تكتب لرجل آخر ... ربما اكثر جمالا منه ...

وجهه في تلك اللحظة وهو يقرأ صورة رسالتها الاخيرة ، ويتطلع الى صورتها هي ، يرسم تعابير حلوة ويقض بها في انسانية جميلة ...

احاسيسه يذيبها الحب ... وروحه يزهر بها الشوق ... غريب احساسه الليلة ، ومدهش انقلابه المفاجيء ... وسعيد هو ليقظة احاسيسه على تلك الصورة الرائعة ...

احس للمرة الاولى منذ عامين انه لا يبغض الرجل الآخر ، الذي تكتب هي له ... انه يحبه ، يحبه حبها له ، يحبه من أجلها ... من اجل حرف تشرق به سطورها ، من اجل حاجتها اليه ، الى ذلك الذي يملك وجها ربما اكثر جمالا من وجهه ...

للمرة الاولى تبتلع عيناه صحراء العقارب ، وفلاة التيه ، وفي روحه اشراق لا ينتهي ، اشراق لا نهاية لفجره ، اشراق لا كآبة في حواشيه ...

لوحة نبيلة ، تلك التي انعكست على قسماته ، لوحة اعماقه الجديدة ، اذ اينع قلبه بالحب ، بالحب الحقيقي ... واذ انساب الحب في مشاعره ، فانسكب على وجهه ..

للمرة الاولى يرفع رأسه الى المرآة ... فلا يزعج قبح وجهه ..

للمرة الاولى يحس ان جمال الدنيا كلها قد نبع من داخله ...

غريب احساسه الليلة ومدهش انقلابه المفاجيء ، وسعيد هو لتفتح احاسيسه على هذه الصورة السامية ..

دقائق وتصل صاحبة الرسائل ، الرسائل التي تكتبتها له ، والى الرجل الآخر ... لم تكن تكتب اليه عبثا ، كانت تحس حاجته الى رسائلها ...

رسائلها تصل اليه في تلك اللحظات التي يكون في غاية الشوق ، وفي قمة الانتظار ... تلك اللحظات التي يتوقع فيها ان تصله ...

لا ريب انها وصلت الآن ... ان قلبه يهمس له بذلك، وسيخرج لاستقبالها ...

فتاته تجلس في سيارتها، والسائق منصرف للتأشير على الجواز ...

اقترب من سيارتها، ثم اقترب منها ... لم يحس انها غريبة عنه، ولا احس هو بغربته عنها ...

ابتسم لهابود من بعيد، ومد يده يصافحها، يلامس عالمها الذي عاش غارقا في احضانه، ونشوانا في مده وجزره ... وبادلته ابتسامة بابتسامة صافية، وصافحته بود اكبر ... حينئذ احس انها صديقته فعلا، وانها حبيبته فعلا .. وان الآخر، الرجل الآخر، الذي تكتب له رسائلها لم يعد شيئا ... لقد ذاب وتبخر ...

قال لها انني اعرفك ... منذ عامين ... وقد كنت انتظر مرورك ...

امتزجت دهشتها بابتسامة وساءلته قائلة: هل انت صديقه ... صديق الرجل الذي اكتب اليه ...!

ابتسم باسى اذ راعه ان ينتصب الرجل الذي تكتب اليه بينهما ثانية في اجمل اوقات حياته وكاد ان يقول لها: لا ... لا ... انني هو الرجل ... الرجل الذي تكتبين اليه كل اسبوع مرة

ولكنه احسها تقول له: انت هو ..؟ لا !؟ انني اعرفه ... انه خطيبي وسنتزوج بعد شهرين، شهرين فقط. لا ريب انك مخطىء يا صديقي ... ولكنه احس انه كان متفائلا اكثر من المألوف .. كيف تقول له يا صديقي ستقول له يا سيدي ... اما صديقي ... فانه يتمنى ان يسحقها منها ... ولكنها حتما لن تفعل سمع صوتها يمزق السكون، لعل فتاتك تشبهني ولكنني لست هي ...

اجابها بود عميق تفجر من قلبه ... — انني اعرفك، اعرفك جيدا، واحبك، اعرفك كما يعرفك هو واحبك كما يحبك هو ...

قالت مرتبكة: اذن انت صديقه ..؟ اليس كذلك ... قل لي الست صديقه ..؟

أجابها بهدوء، والسكينة والحب يغمران عالمه، لا، ابدا يا انستي لست صديقه انني انا ... ازدادت حيرتها، وتعجبها، ودهشتها وهمست متسائلة:

اشرح لي، ارجوك، ماذا تريد ان تقول، لقد بدأت احس انني اعرفك ولا اعرفك اجاب موضحا: — انني اعمل هنا منذ ان بدأت تكتبين له، للرجل الآخر .. وكان عملي هو مراجعة الرسائل، الرسائل التي تجتاز الحدود جيئة وذهابا ... ولهذا كنت اقرأ رسائلك اليه دائما واقرأ رسائله اليك دائما ...

لقد احببتك احببتك كثيرا، وبدأت اغار منه، من الرجل الذي تكتبين له وترسلين صورتك اليه، اخذت صورا لرسائلك، احتفظ بها لنفسي، واقرؤها لنفسي، اوهم نفسي انك انما تكتبين لي وتحبينني ... وفجأة، وانا بانتظار وصولك احسست انك تحبينني وتكتبين لي الرسائل التي انا بحاجة اليها ... وانك اصبحت لي اكثر من امرأة، وانني لا اغار من الرجل الاخر الذي تكتبين له، ولهذا وللمرة الاولى لم اعد ارى وجهي قبيحا ... فجئت اليك، احييك وأراك، واقول لك ... سأظل سعيدا لو تابعت كتابة رسائلك اليه ...

تطلعت الى عينيه وتأملتهما مليا .. وربما قرأت في عينيه معان كثيرة غريبة ... فحملقت فيه اكثر واكثر وفتحت فمها تريد ان تقول له:

ولكنني سأعود، سأعود من هنا، وارغب ان اراك، وان اراك دائما ...

وانا احس ايضا انني التقيت بك، قبل هذه المرة، وانك لست غريبا عني ولا عن رسائلي، ولا حتى عن الرجل الذي اتمنى ان اكتب اليه، كل اسبوع اكثر من مرة ...

درعا — انعام مسالمة

رائعة بدوي الجبل

حلفت بالشام . هذا القلب ما همدا
عندي بقايا من الجمر الذي اتقدا

لثمت فيها الاديم السمح . فالتهبت
مراشف الحور من حصبائها حسدا

قد ضم هذا الثرى من صيدها مزقا
- ارث الفتوح - ومن مرانها قصدا

ألملم الجمرات الخضر من كبدي
وأسترد الصبا والحب والكبدا

وأرشف الكأس من عطر ومن غيد
فأسكر المترفين- العطر والغيدا

فديت سمراء في لبنان ساقية
حنانها ما اختفى من غربتي وبدا

تحنو على اليأس في قلبي فتغمره
نورا وتبدع فيه الصبر والجلدا

حورية طاف جبريل بجنته
يريد ندا لرياها فما وجدا

فديت جفنين من سكب الدجى اكتحلا
اذا سهدت على جمر الغضا سهدا

ألحانيين على قلبي ولوعته
يبددان من الاحزان ما احتشدا

* * *

سقيت خمرة اشعاري لمى شفة
بخيلة . فسقتني الشهد والبرتا

وان كبرت فلي كنزا هوى وصبا
نهدان من نعميات الله قد نهدا

أودعت عندهما بعض الشباب فما
خانا وديعة أيامي ولا جحدا

قد ادخرت لقلبي عند كبرته
ما صانه كادح للشيب واجتهدا

كنزا يضم لباناتي منورة
وما اطمأن من النعمى وما شردا

أمد كفي الى كنزي فيغمرها
بما أحب شبابا جامحا وددا

عاد الغريب ولم تظمأ سريرته
فقد حملت بها في غربتي بردى

من روع البلبل الهاني وأجفله
عن أيكه وسقاه الحتف لو وردا

جلاني الظلم أشلاء ممزقة
واحتز أكرمهن القلب والولدا

تصغي النجوم الى نوحي فيسكرها
يبكي الهزار ويبقى مسكرا غردا

* * *

قلبي الذي نضر الدنيا بنعمته
رأى من الحقد أقساه وما حقدا

فيا لقلب غني النور مزقه
على النوى حقد أحباب وحقد عدى

اني لارحم خصمي حين يشتمني
وكنت أكبره لو عف منتقدا

عانيت جهد محب في الوفاء له
والغدر بي كل ما عانى وما جهدا

قرت عيون العدى والاصفياء معا
فلست أملك الا العطر والشهدا

* * *

دعو كرامتي العصماء نازلة
على الشموس تذيع الحسن والرأدا

كرامتي الحجر الصوان . ما ازدردت
الا لتهشم أنياب الذي أزدردا

كغابة الليث ان مر العدو بها
رأى الزماجر والاظفار واللبدا

وكيف أعنو لجبار وقد ملكت
يميني القمرين الشعر والصيدا

اذا دجا النور في غمر الضحى ائتلقا
وان سطا الظلم مخمور الظبى صمدا

عروبتي فوق فرق الشمس ساخرة
من لؤم مازور الواشي وما سردا

* * *

تفرد الله بالارواح يبدعها
من سره ، لم يشارك غيبه أحدا

تفرد الله بالارواح ، لاملأ
جلا له سرها الاعلى ولا بلدا

وميز الشام بالنعمى ودللها
فمن ثرى الشام صاغ الروح والجسدا

أولى المدائن ، اخت الشمس قد شهد
ت روما وغار الضحى منها فما شهدا

ثراك والدر ، ما هانا وان ظلما
وأنت النور ، ما ضاعا وان جحدا

* * *

يسومنا الصنم الطاغي عبادته
لن تعبد الشام الا الواحد الاحدا

وجه الشام الذي رفت بشاشته
من النعيم لغير الله ما سجدا

تفنن الصنم الطاغي فألف أذى
وألف لون من البلوى وألف ردى

أنحى على الشام ، أريافا وحاضرة
فلم يدع سبدا فيها ولا لبدا

جهد العفاة من العمال جزيته
وكل ما قطف الفلاح او حصدا

هذا المدل على الدنيا بصولته
ما صال الا على قومي ولا حشدا

يمد بالسلم صفوا لليهود يدا
ومد للشام بالغدر اللئيم يدا

ومرعد مبرق ضجت صواعقه
حتى اذا قامت الجلى له قعدا

ألظامىء القلب من خير ومرحمة
فان ألح سقاه الحقد والحسدا

لو استطاع محا أمجادنا بطرا
لم يبق منهن لا بدرا ولا أحدا

دع الشآم فجيش الله حارسها
من يقحم الغاب يلق الضيغم الحردا

عزت على كل فرعون عرينتها
ما روضت ، ويروض القانص الاسدا

اذا العدو تحداها بسطوته
نهدت أرخص روحي كلما نهدا

تقحمت كبريائي يوم محنتها
ما سامع المحنة الكبرى كمن شهدا

أهوال ما أوعد الطاغي ليصرفني
عن الشام ونعمى كل ما وعدا

تهود الصنم الطاغي كسادته
وراج في القوم لكن بعد أن كسدا

ماذا يريد الاولى أصفوه ودهم
وسخروا لهواه المال والعددا

يكاد تمثالهم يحمر من خجل
وقد غدا للطغاة العون والمددا

يا مشعل النور كم حرية ذبحت
على يديك ، ونور مات بل وئدا

قد أنكر المشعل العادي رسالته
فان يماجد خصيما بعدها مجدا

يبكي لحرية الدنيا ويذبحها
على هواه ولا ثأرا ولا قودا

ومن حمى ظلم فرعون لامته
فقد تفرعن طغيانا ومعتقدا

تحملوا وزر هذا الشرق ، مزقه
جنون طاغ فاضحى شمله بددا

واحموا يهودية الدجال سافرة
بلا حياء ، وداووا بالعمى الرمدا

لا أكذب الله قـد أضحت كنوزهم
لصرخ طغيانه الاركان والعمـدا

لا أكذب الله • مـن أموالكم صقلت
خناجـر طعنت حـريتي ومـدى

جلت فلسطين • لا يمحو عروبتهـا
ما أكـد الصنم الهاوي وما عقـدا

جيش العـروبة بعـد الله حارسها
وما اشتريتم بـه كافور ضـاع سدى

* * *

يا راقـد الثـأر لم يأرق لجمـرته
جيش الشـآم عن الثارات ما رقـدا

جيشي • وفوق ذرى حطين رايتـه
غدا • ويملي على الدنيا الفتوح غدا

المطمئـن وجمـر الثـأر في دمـه
ـ خابت رياحك ـ هذا الجمر ما همدا

جيشي وريث الفتوح الغر معلمـة
وما دنـا من غواليهـا وما ابتعـدا

الحـامل الغـار أمجـادا منضـرة
والمدرك الثـأر لاوزورا ولا فنـدا

تبرجت في السماء الشمس حـالية
لتشهـد العدة الشهبـاء والعـددا

جيشي وايمـانه بالحكم مجتمعـا
شورى وقد داس حكم الفرد منفـردا

لبى الشـام وقد ريعت كرامتهـا
وثار للشعب • منهوبا ومضطهـدا

ان الكرامـة والحريـة احتلفـا
ولن يفـارق حلف حلفـه أبـدا
من هـديه صاغها الاسلام فانسكبت
توزع النـور والنعمـاء والرشـدا
هذي الحنيفيـة السمحاء قاهـرة
لا اللات عـزت ولا فرعونهـا عبدا
تألـه الفرد حينـا • ثم عاصفـة
هـدارة فكأن الفـرد ما وجـدا
كنـز الحنيفـة من حب ومرحمـة
كالنور قـد غمر الدنيـا وما نفـذا
نبع من الحب لو مـر الجحيم بـه
لقطف الظـل من ريـاه وابتـردا

لا الفقـر حقد ولا النعمـاء غاشمة
كلاهما انسجمـا بالحب واتحـدا

كلاهمـا أملت السمحـاء حرمتـه
على أخيـه فمـا ابتزا ولا حقـدا

تبنى الشعوب على قـربى ومرحمـة
وما بنى الحقـد لا شعبا ولا رغـدا

آمنت بالفـرد حـرا في عقيدتـه
وكـل فرد وما والى وما اعتقـدا

* * *

أفدي الشـام لنعماها وعزتهـا
من أربعين أقـاسي الهول والنكـدا

ضـم الثرى من أحبائي ليوث شرى
وغاب تحت الثرى منهم شموس هدى

لداتي الصيد شـل الموت سرحهم
ليت النجوم وروحي للـدات فـدا

الراقـدون وجفني مـن طيوفهم
في سامر ضـج في جفني فمـا رقدا

قبور أهـلي واخـواني وغافيـة
من الطيـوب واسرار ورجع صدى

والليل والصمت والذكرى وكنز رؤى
لمحت مـارد جن حولـه رصـدا

ووحشـة لفت الدنيـا برهبتهـا
ولفت المغيب والاحـلام والابـدا

الحـانيات على تلك القبور معي
ونبـه الفجر طيرا غافيـا فشـدا

حتى بـكيت فـذابت كل واحـدة
منهن في أدمـع النـائي الذي وفدا
هشـت الي قبور أدمعي عبـق
على الريـاحـين في أفيائها وندى
ضمتني الشـام بعد النـأي حانيـة
كالأم تحضـن بعد الفرقة الولـدا
ردت الـي شبـابي في متـارفه
وهيـأت للصيال الفارس النجـدا
أنا الوفي وتأبى الغـر مـن شيمي
كفـران نعمة من أسـدى الي يدا

بدوي الجبل

الصــورة الحقيــقيّة *

قصة

بقلم الدكتور : زكي المحاسني

حين علمت الادب في الجامعة كنت أدخل مدرج الدرس ، فاذا بي على منصة منخفضة ، وقد تحلق حولي تلاميذي ، متدرجين في المجالس حتى يبلغ أقصاهم أعلاها •

كنت أجدني ، وقد انسكبت علي العيون والخواطر ، مثل جندي حوصر من كل طرف ، فهو لا يدري أين يحارب ، وكنت أحس أن التدريس في المعاهد الثانوية ، وفي كليات الجامعة ، ضرب من الامتحان والنضال ، يتزود فيه الاستاذ بوعي موضوعه وبحثه ، وحضور الذهن والبديهة ، فاذا صعد منبر الدرس تخيل نفسه يدلف الى المعركة ، ولم يحس بهذا استاذ في جامعة من جامعات الغرب ، حيث تسود بين الاساتيذ والتلاميذ روح المودة والتجاوب •

ولم أكن أعرف ، وأنا استاذ في الجامعة ، صورتي الحقيقية ابان الدرس والقاء المحاضرات ، وكنت أوفر للطلاب كل وقت ثمين ادخره لاحمل اليهم اكبر فائدة في أقصر مدة • وكنت اعد لهم المحاضرات مطبوعة فأوزعها عليهم قبل القاء فحواها وفكرتها ، ليجدوا فيها نقاشا وتمحيصا ، وليضموا الى هوامشها ما افضي به من مزيد أو شروح •

وفي ذات يوم نهضت الكلية برحلة للاطلاع على معالم آثارية في حوران فدعيت لاكون في الرحلة ضيفا ، وهنالك كنت أسرح نظري حيث تجثم آثار رومانية تختلب الفكر بحسن نقشها وتطلق الخيال بأجنحة نحو عالمها الاول ، اذ يستحضر العارف بالادب الاغريقي واللاتيني روايات التمثيل التي كانت تدور هنالك في بهرة الحلقة ، بين يدي المدرج الكبير الجبار ، وكنت منفردا متأملا ، أتحسس بالنظر والفكر تلك العاديات الرائعة ، وفيما أنا أدلف متئدا سمعت كلاما من احدى الطالبات ، كأنها تلقي حوارا في رواية ، فقلت في سري قبل أن أعرف من التي تتكلم :

– يا لله ، ما أبدع ما سأرى ، • متأدبة من طالباتنا انتهزت السانحة في مسرح « بصرى » وخيل الي انني أشاهد في صحنه دورا من أدوار الرواية •

ولم أكد أتقدم قليلا حتى سمعت بعض الكلام الذي كنت أقوله في الجامعة للطلاب والطالبات ، بل كأنه من مطارحاتي في شعر الحرب عن « قطري بين الفجاءة » وصحبه الخوارج المغاوير •

فلبثت مستحفيا مستأنيا اسمع والى ، فاذا الآنسة – وقد صارت الآن سيدة بيت مثالية – قد اتقنت محاكاة كلامي وحركاتي في الدرس والمحاضرة •

كانت تشير بيديها كما كنت اشير ، وترفع رأسها كما كنت أرفع رأسي ، ثم تهوي بيدها بعد حين على شيء تمثله كمنضدة الدرس فتجعل خشب المنضدة كفها اليسرى ، لتصفق بقبضتها عليها بالقبضة اليمنى •

والتلاميذ والتلميذات متحلقون حولها وهم قعود على الدرجات الاولى من المدرج الحجري الذي كنت في نشوة فن وخيال اذ ذاك أحس كأن درجاته الحجرية السود انبعثت من صميم حياتها البائدة ، وعادت القهقرى الى عهد سوفوكلس الذي كان يزودها برواياته المسرحية الخالدة •

وحين أتمت الآنسة الذكية ، ذات الروح المرحة ، تمثيل ذلك الدور ، هاج بها الجمع وماج ، وحلفوا انها قلدت استاذها تقليداو رائعا منطبقا على الحقيقة •

فبرزت آنذاك من مخبئي ، ودهش الجمع لحضوري فجأة ، واعترى ممثلتي الموهوبة خجل ، أخذت أذهبه عنها بضحكي وسروري ، لما رأيت وسمعت • وقد أرادني أولئك الاصدقاء الذين كانوا في طلعة العمر كالزهر ، أن أقول كلمة ، فقلت لهم :

ـ ايها الاخوة ، لقد حضر بي مؤلف الرواية ، وشاهدتم الساعة ، برفيقتكم ، تمثيلها ، ولو أفضت اليكم بما خامرني من وصف سروري لاخذ منكم الدهش مأخذه البالغ ، فاني ما عرفتني على حقيقتي مثلما عرفت الساعة من أمري في القاء البحث والمحاضرة ، لقد أعطتكم رفيقتكم مرآة تصورني على حقيقتي ، على الدوام ، بمن يعطيني مثالي الصحيح ، دون زيف أو تمويه •••

لقد مر بخاطري هذا الفصل من فصول روايتي في الحياة ، ولكل انسان رواية ، يقوم بتمثيل أدوارها على مسرح عمره وأرضه ، وقد لا يتاح له من يضع المرآة أمامه ليرى فيها نفسه على وجه من الحقيقة والواقع ، ومتى ندب نفسه نادب ، أو تقدم اليه صديق ليريه حقيقة صورته ، غضب واهتاج ، وأنكر أن يكون هو على تلك الصورة مهما يحسن له مصوره فيها التقليد والترديد •

وحين عدت الى نفسي ، بعد تلك الرحلة الجميلة ، أخذت أعجب لمعاودة الزمن حوادثه ، فذكرت قلدت ـ وأنا طالب ـ أستاذا لنا في مدرسة التجهيز الاولى كنت بحي الخراب بدمشق (بمكتب عنبر) •

لقد كنا جلوسا في غرفة الدرس ، وشيخنا يلعلع صوته بالشرح والتعليق ، وقد وضع عمامته على المنضدة العالية التي وراءها كرسيه واللوح الاسود الكبير ، واذا الخادم يدلف ، وكان باب الغرفة مفتوحا ، فيقول للشيخ الجليل :

ـ المدير ، يريدكم ••

فنزل من على كرسيه ، واستبق الباب ملتمسا غرفة المدير وهي بعيدة عنا في أقصى الفناء ، فأخذت مكانه بلمح البصر ، ووضعت العمامة على رأسي فغاص فيها ، وأخذت القي الدرس على طريقته في صوته الجاهر ، وتتابع عباراته الضخمة ، وانحباس أنفاسه حتى تند عروق عنقه من الشد •

وأحسست قرب دنوه في عودته المسرعة ، فوضعت العمامة ، وقفزت الى مكانت القريب بين دهشة رفاقي واندفاع ضحكهم المحبوس •

ولم يكد شيخنا ـ يرحمه الله ـ يجلس مكانه حتى نظر الى العمامة ـ وقد بدلت وضعها من غير ادري ، اذ كان جوفها الى المنضدة ، فجعلته الى الاعلى • وما راعني الا صرخته الراعدة :

ـ من لعب باللفة

فأجابه صمت عميق ووجوه تحاول كتمان الابتسام• وكان حصيفا لبقا فلم يقم بتحقيق ، أو يهتف بوعيد ، وعاد الى درسه وتفسيره كنا في أعمار صغيرة ، يأتون لواذا ثم يوهموننا ليروا بيننا الطالب ذا الشغب فيجاوزه • لو هو فعل ذلك ، ولو يدهمنا مثلهم ، ووقف بجانب الشباك ، دون أن يراه احد ، وقد لبث يسمع ويرى ، لوجد صورته الحقيقية يرسمها له أقرب تلاميذه اليه ، بأبعادها الثلاثة ، وهي خافقة بالحياة بصوتها المجلجل وحركاتها اللولبية وروحها القوية •

دمشق : ايلول ١٩٦٢ — زكي المحاسني



عطر أنثى من الجنان تفتق ⁂ موطن الحور والجمال المنسق

صاغه المبدع الغدير عبيرا ⁂ فوق ما نمق الخيال وذوق

يخجل الورد من شذاه فيندى ⁂ هو أندى من الطيوب وأعبق

كلما مر من حماها نسيم ⁂ شام قلبي العبير فيه فصفق

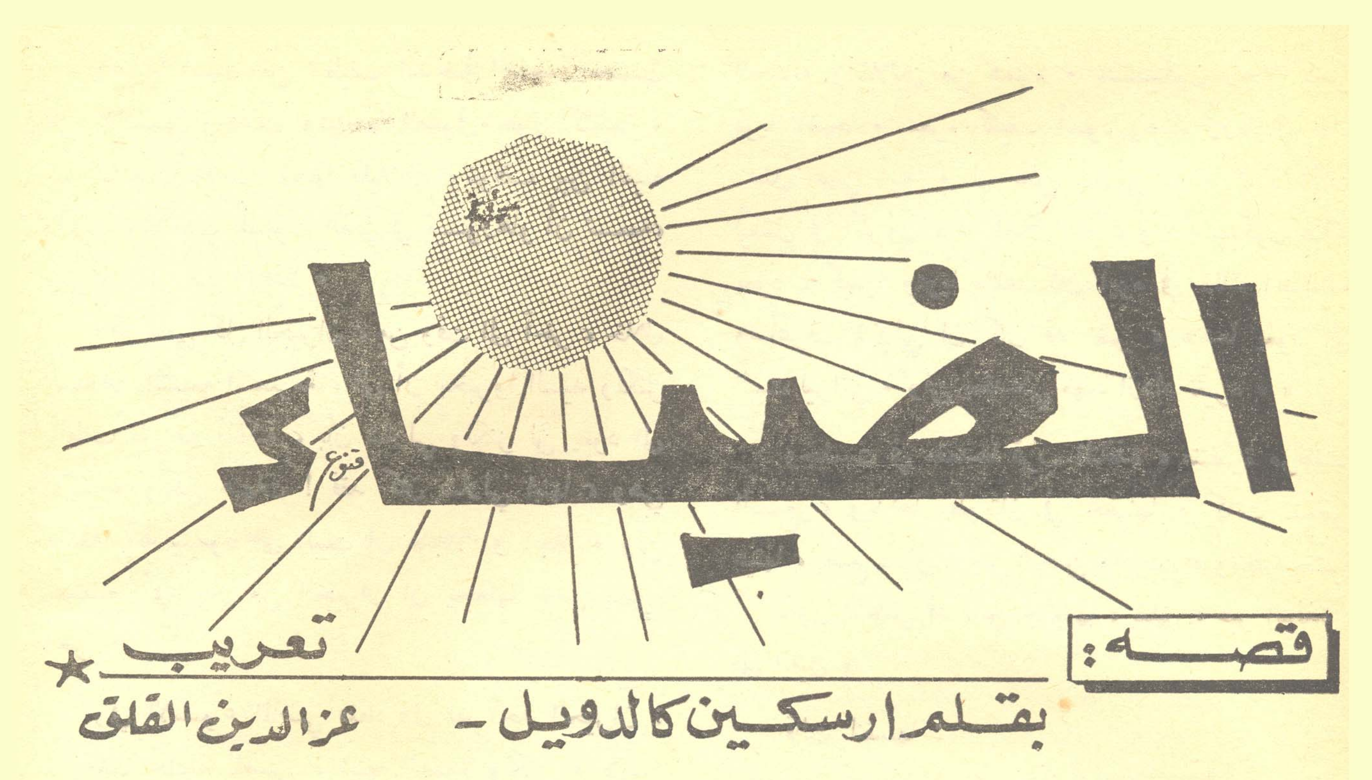
وتلفت بالبداهة علي ⁂ أبصر الطيف دانيا يتألق

عطر أنثى أحسه في كياني ⁂ ملء روحي جداولا تترقرق

يعرف الدرب حين تخطر جذلى ⁂ كيف ينثال عطرها يتدفق

يسبق القلب في رؤاها عيوني ⁂ وعيون الهوى أبر وأصدق

بانياس ـ أنور امام



هبطت الطريق باكرا في المساء عصبة من اولاد المدارس في المدينة • كانت ليلة معتدلة في أواخر الخريف ، وكان الاولاد يتصايحون حاسري الرؤوس وهم يتجولون في ضواحي المدينة الريفية ، كي يحتفلوا بانتصار في كرة القدم ، حريصين على ان تكون بينهم وبين رجال الشرطة مسافة مأمونة • وعندما اجتازت جماعة الاولاد بيت السيد ولكنز ، توقفوا ورموا الكوخ الصغير الوحيد الطابق والناحل الصبغة بدزينة أو أكثر من الحصى •

وبادرت السيدة ولكنز العجوز الى الباب ووقفت تحدق في الظلام • وراقبتها ، بضع دقائق ، جماعة الاولاد • ثم صاح احدهم ، ملء صوته الاجش ، باسم شارلي •

فهرعت السيدة ولكنز الى داخل الغرفة ، والتقطت المصباح الذي تتركه دائما مضاء قرب النافذة وحملته الى فناء البيت • وجعلت تفتش عن شارلي حول البيت ، بينما كان الاولاد يراقبونها من الطريق • ورفعت المصباح عاليا فوق رأسها ، حتى تتمكن من رؤية موطىء قدمها دون تعثر • وبعد أن بحثت فيما حول البيت توقفت وأرهفت السمع لأية نأمة تتناهى الى سمعها • ثم نادت اسم ابنها عدة مرات •

« شارلي ! أواه شارلي ! اين انت يا ولدي شارلي ! »

وعلى حين غرة ، ترنح المصباح قليلا عندما هيمنت نسمة عبر الساحة ، فاسودت فوهة المدخنة بالهباب • وكان الاولاد في ذلك الوقت ، قد هبطوا الطريق متوارين عن السمع والانظار • وجعلت يد السيدة ولكنز تهتز وترتعش ، فشخصت بنظرها ، في الوقت المناسب ، الى المصباح المستوي فوق رأسها كي تثبت المدخنة بيدها الطليقة ، ولكي تصونها من السقوط والتحطم على الارض •

وبحثت في الساحة الخلفية بعناية وحرص وفي فناء البيت مرة اخرى ، حتى انها جاست خلال الحقل المجاور في نصف الساعة التالية • واخيرا وبعد ان امعنت في السير حتى بلغت الطريق ، عادت الى البيت واغلقت الباب ، ووضعت الاصباح على الطاولة قرب النافذة •

وعندما انتهت من تنظيف المدخنة الفاحمة جلست على كرسيها وجذبت وشاحها الصوفي حول كتفيها • ثم شرعت تحدث نفسها قليلا ، وتتوقف بين الفينة والفينة ، لتنصت للصوت الذي في ميسورهاو أن تسمعه، ولترنو بأمل من النافذة •

وقد سعى كل الجيران ، من وقت الى آخر ، خلال السنوات التسعة المنصرمة ، الى أن يخبروا السيد ولكنز بألطف طريقة ممكنة ، بأن شارلي ولكنز لن يعود الى الابد • ولكن هيهات ! فقد كان شارلي ابنها ، وهي مقتنعة بأنه سيعود الى البيت ان عاجلا أو آجلا • ولن يستطيع أي جار من الجيران ان يجعلها تؤمن بشيء آخر •

وفي الاسبوع الماضي فقط قال لها أحد الجيران : « وقعت حادثة للصبي ، ايتها السيدة ولكنز • ولن يعود البتة ثانية الى بيته » •

وهزت السيدة ولكنز رأسها غير مصدقة ، شأنها في كل مرة ، فلم يكن في وسعها أن تصدق أي شيء جرب الجيران اخبارها به • فقد كان شارلي ، منذ اليوم الذي ولد فيه ، نصيبتها في الدنيا • وسيبقى حيا الى الابد ، طالما الامر متعلق بها •

ترك شارلي ولكنز البيت ، قبل احدى عشرة سنة • وارتحل الى اكرون حيث وجد عملا في معمل للمطاط • وبعد سنتين من ذلك ، تلقى مدير الشرطة في المدينة رسالة من اكرون تقول ان شارلي ولكنز قد سقط في حوض كميائي ، وقبل ان يستطاع اكتشاف جثته وازالتها ، ذابت في المحلول • ولم يبق من جثمانه شيء يرسلونه الى أمه • ولهذا السبب لم تعتقد قط انه مات •

وقد قالت لكل امرىء حاول ان يقنعها بأن شارلي لم يعد حيا :

« كان شارلي في العشرين من عمره عندما غادر البيت ، واذا عاد ، في هذه الليلة الى البيت فسيكون في الحادية والثلاثين من عمره • سيكون رجلا كبيرا قويا ناضجا • شعره كثيف أسود وعيناه زرقاوان تماما مثل عيني أبيه • لم يكن شارلي عندما ترك البيت ليعمل في اكرون ، قد امتلأ تماما ، ولكنه سيكون عندما يعود ، كبيرا وقويا مثلما كان أبوه في ذلك العمر • وسأعرف شارلي ان كان قد تغير ، عندما يعود الى البيت ليراني • ولن يخدعني مهما ازداد تغيره • »

وجلست في مقعدها قرب النافذة ، منتظرة مرهفة السمع ، ويداها مطويتان في حضنها • كانت تغمض عينها ، بضع دقائق ، بين الحين والحين ، وتنظر خشية أن يكون النعاس قد رنق جفونها ، بقلق ، عبر النافذة ، الى الليل •

قالت لنفسها :

« لن ينسى ولدي أن يعود كي يراني • واذا وفد الي هنا كل شخص من كل فج في العالم وحاول أن يخبرني بانه لن يعود الى البيت ، فلن أصدق كلمة واحدة من ذلك ، لان شارلي قال انه سيعود ليراني حالما تسنح له الفرصة أن يترك عمله مدة من الزمان •

وما كذب علي شارلي أبدا في حياته ، حتى عندما كان صغيرا يعدو في فناء البيت ، محاولا ان يمسك بملعقة من الملح ، عصافير الدوري • ولأنه أجابني بالحقيقة دائما ، في كل مرة سألته فيها أن كان قد فعل هذا الامر أو ذاك ، مسددا نظره مباشرة في عيني • ان شارلي كان دائما ولدا أمينا • »

ودقت الساعة فوق الموقد العاشرة • فنظرت السيدة ولكنز اليها ، ثم أدارت رأسها كي يكون في مقدورها أن تنظر من النافذة • لم تكن الساعة متأخرة على نومها لانها ألفت السهر منتبهة منتظرة حتى بعد الحادية عشرة ، والى ما بعد منتصف الليل أحيانا •

وصعدت سيارة الطريق ببطء • واعتدلت السيدة ولكنز بينما كانت تصغي لصوت السيارة • وعندما بلغت السيارة البيت لم تتوقف بل واصلت الصعود في الطريق •

قالت لنفسها :

« سيعود شارلي يوما الى البيت • وسيأتي راكبا أو راجلا • لقد قال انه سيعود بهذه الواسطة أو بتلك •

لا أدري علام يسعى الناس دائما أن يقنعوني بأنه لن يعود ليراني • »

ولما ظنت انها سمعت صوتا ، نهضت على حين غرة متشبثة بمسندي الكرسي • كان الصوت شبيها بالصرير الذي يحدثه كرسيها في بعض الاحايين ، بيد انه تراءى صادرا من خارج البيت ، كأنه صرير البوابة في الفناء •

وقبل ان تعزم على شيء ، قرع الباب • فشابكت السيدة ولكنز يديها باهتمام • ولم تعرف بم تعلل ذلك • ولم تدر ماذا تفعل • فان احدا لم يفد البتة لزيارتها في وهن الليل • وبينما كانت تجلس ثمة ، وجسدها يرتجف ، سمعت الباب يقرع مرة أخرى • فوثبت مستثارة في هذه المرة على قدميها •

وصرخت ـ : « انه شارلي » •

كان ذلك كل ما تستطيع أن تفعله حتى لا تبكي • وركضت الى مخدعها حيث كانت تحتفظ بثياب يوم الاحد مربوطة في صندوق • وشقت الخيط بعصبية • وعلى حين غرة غشت عينيها الدموع التي حاولت ان تواريها • وفاتتها روية اي شيء جهدت بالنظر اليه • وتلمست طريقها خارج المخدع ثم حاولت ان تخلع فستانها البيتي •

وتسامى اليها في تلك اللحظة ، الطرق على الباب للمرة الثالثة • وايقنت آنذاك ان الطرق حقيقي • فقد سمعته ثلاث مرات كان الصوت فيها لا يعتريه الشك • وبعد لاي تمكنت من تغيير فستانها ثم خلعت نعليها المنزليين ولبست احدى فروتي خف يوم الاحد • فقد أسقطت الفردة الاخرى في مكان ما ، ولم يكن عندها الوقت الكافي للتفتيش عنها •

وصاحت مثبتة شعرها باحدى يديها ، وهي تحاول أن تزرر فستان يوم الاحد باليد الاخرى : « انني آتية ، انني آتية ! انني آتية يا شارلي ! انني آتية يا ولدي شارلي ! »

وعندما زررت الفستان ، لم تستطع أيضا أن تعثر على الفردة الاخرى • فما كان في وسعها أن تظفر بها في أي مكان ، على الرغم من أنها تذكر انها سقطت على الارض في عجلتها •

« لقد عدت يا شارلي أليس كذلك ؟ انني متيقنة من ذلك لقد قلت انك ستعود ! »

وجرت في الغرفة ، متوقفة لتلتقط المصباح ولتبحث تحت الكراسي والسرية عن خفها •

« أواه يا شارلي ! لقد عدت بالتأكيد ، أليس كذلك ؟ »

وبعد لأي عثرت على الفردة الضائعة ولبستها • ثم تناولت المصباح ومضت الى الباب بأسرع ما تستطيع •

« شارلي ، يا ولدي شارلي ! لقد عرفت حقا انك ستعود لتراني ! دائما كنت اعرف ذلك ! »

وعندما شارفت الباب ، تحسست يداها المرتجفتان السقاطة • ثم وضعت المصباح على الارض • وعالجت الباب كي تفتحه ، بكلتا يديها •

وصاحت بأعلى صوتها :

« أما تزال عندك ، يا شارلي ؟ »

« نعم يا أمي فاني ما أزال هنا بالتأكيد ! »

« أواه يا ولدي شارلي ، اني سعيدة جدا ! »

وتساءل الصوت :

« علام لا تفتحين الباب وتسمحين لي بالدخول يا أمي ؟ »

وانتحبت وهي تقول :

« أواه يا ولدي ، يا ولدي ! »

واستطاعت في النهاية ان تدير القفل وأن تشرع الباب • ثم استدارت واختطفت المصباح وخطت فوق عتبة الباب •

ونادت : « أين أنت يا شارلي ؟ »

وقفت في مدخل الباب والمصباح في يدها ، تجيل الطرف في الساحة كلها • ولم تستطع أن تلمح أحدا • فقد كانت ساحة فارغة عارية مثلما كانت أبدا من قبل •

وسألت بجنون :

« اين أنت يا شارلي ؟ شارلي ••• أين أنت ؟ »

وعندما خطت الى الارض قفز أحدهم من زاوية البيت الى مجال الرؤية • وقال :

« ها أنذا يا أمي ! » واقترب الشبح منها مقبعة مرخاة على الوجه وقبة مقلوبة الى أعلى :

« اما تعرفينني يا أمي ؟ »

« يا ولدي شارلي أهذا أنت ؟ اقترب مني ودعني أراك يا بني ! »

وخطا ولد أمامها منتصبا مباشرة في الضوء الذي يشعه المصباح في يدها •

وبدا وجه السيدة ولكنز كأن ألما مفاجئا لا يحتمل قد ألم بها • وترنحت من جانب الى آخر حتى ظهرت كأنها في سبيلها الى الوقوع أرضا • وقالت بألم :

ـ : « انت لست بشارلي ! »

وعلى حين غرة ، انفجرت جماعة الاولاد عند السياج بضحك عال • فقد كانوا في الطريق يقلبون عربات المزارع ويسوقون البقر من مراعيه • وعندما عادوا الى بيت السيدة ولكنز طلب أحدهم من بقية الاولاد ، وهو بن سيرز ، أن يراقبوه وهو يهزأ بالسيدة العجوز •

واختبأت جماعة الاولاد خلف السياج حيث كان في امكانهم ان يسارقوا النظر وان ينصتوا لكل شيء يأخذ مجراه ٠

وقالت السيدة ولكنز وقد اخضلت عيناها :

« أنت لست بشارلي ! أنت لست بولدي شارلي ! »

وهز بن سيرز قبعته ثم انكفأ عائدا ٠ وركض مبتعدا عن الساحة ٠ واختفى وبقية الاولاد في الظلام بينما كانوا يهبطون الطريق راكضين ٠

وظلت السيدة ولكنز واقفة في الساحة أمدا طويلا بعد أن رحلوا ، وهي لا تزال ترفع المصباح عاليا فوق رأسها ٠

وحدثت نفسها بكلمات واضحة حينا وخافتة احيانا:

« أواه يا ولدي شارلي ، لم تكن انت ! لم تكن انت ذاك يا ولدي شارلي ؟ فقد انتظرت طويلا جدا ٠ »

وبعد برهة مشت السيدة ولكنز بتؤدة عبر الساحة ٠ ويممت شطر البيت ٠ وأوصدت الباب ثمة ، ثم أقفلته وأخذت تخلع ثياب يوم الاحد ٠ وعندما فرغت من طي الثياب ووضعها بعناية في الصندوق في المخدع حملت المصباح الى الطاولة قرب النافذة ٠ وكما كانت تفعل دائما ، فقد كانت حريصة على أن تضع المصباح في مكانه المعتاد بحيث يشع ، عبر النافذة ، اكثر ما يمكن من الضياء ٠ ثم احكمت الفتيلة حتى يصبح اللهيب ساطعا ونقيا لئلا يسود المدخنة ٠

وعندما ارتاحت ان الضياء سيكون ساطعا ونقيا شرعت في اجتياز الغرفة الى سريرها ٠ وكانت في منتصف الغرفة عندما وقعت بعنف على الارض ٠

لم تدر حين وقعت على الارض ان كانت قد تعثرت بالبساط أو أن قواها قد خذلتها فتركتها تهوي ٠ وفيما كانت تضطجع هناك ، كان آخر شيء فكرت فيه هو أنها ستنهض في الوقت المناسب لتفتح الباب لشارلي عندما يعود الى البيت ٠



اسمعيني لحن الهوى ، اسمعيني   واشرحي لي عن لاعجات الحنين

وأبيني عما بصدرك من حب ، وشوق   بين الضلوع ، دفين

انا ظمآن للغرام ، وهذي   كأس حب ، ترشفي ، وانهليني

أتمر السنون دون غرام ؟؟   ما انتفاعي بها ؟ وهل تجديني ؟؟

طفلة القلب ، نار حبك كادت   – وبعيد ضرامها – تكويني

حدثيني ، فملء قلبي صوت   يرسم الحب طيفه في عيوني

وحنان يندى فؤادي لنجواه ،   وأنس به عذاب سنيني

أنت قربي ، أحس نبضك في صدري ،   ومرآك ماثل في جفوني

حدثيني ، قولي : أحبك ، وامحي   ألف سطر للبؤس فوق جبيني

يا لألفاظك الرقيقة تسري   في الدياجي وحيا بديع الفتون

كلما رن (هاتفي) خفق القلب ،   وروحي تعلقت بالرنين

وضممت الهتاف أحنو عليه   وأناجيه بالفؤاد الحزين

أوحب ؟ والشيب ضاء برأسي   وأضعت الشباب بين الظنون ؟؟

أوحب ؟ هيهات يسعد قلبي الحب ،   هذي جراحه تضنيني !!

كم له قدم الصلاة فؤادي   فرماني لهجره ، والشجون !!

كم تغنيت باسمه خالد الشعر ،   وروحي ذوبتها في لحوني

ضاع شعري ، وحطم الحب روحي   وسقاني الحبيب كأس المنون

فانطوت نفسي الحزينة سكرى   من عذاب الهوى وغدر الحزين

في فؤادي الجراح ، والليل حولي   وببالي أطياف حبي الخؤون

والليالي ، تمر بي ، في انفرادي   لا ارى مشهدا بها يرضيني

للاسى ، للدموع ، أضحت صلاتي   للضياع المرور رجع أنيني

ولشعبي الوفي لي ، ولذكرى   في رقادي ، ويقظتي تعتريني

لا تغري بصبوة الجسم ، روحي   شيبتها الايام من قبل حيني

لفعتها كآبة وانطواء   وارتمت بين حالكات السجون

ما تريدين من شبابي الحزين ؟   من فؤادي الدامي ، وروحي الطعين ؟؟

بعد (خمس) أتيتني بغرام   ينعش القلب من جفاف السنين ؟؟

مرحبا بالهوى ، أقدم روحي   لرضاه ، أضمه بجفوني

مرحبا بالربيع ، دب حياة   في عروقي ، وصحوة في فنوني

جدد الحب لي الحياة ، تعالي   واسمعي خفق أضلعي ، واسمعيني

حمص – شكري هلال

فنون وألوان

لاتيرنا ماجيكا

عرض وتحليل بقلم : **الدكتور : صادق جلال العظم**

عرض على مسرح معرض دمشق الدولي التاسع برنامج مثير يدعى لاتيرنا ماجيكا (او الفانوس السحري) أتاح لرواد المسرح مشاهدة تجربة فنية جديدة وغريبة لا سيما اذا كانوا من متذوقي الفنون السينمائية والمسرحية .

هذا البرنامج كغيره من الاعمال الفنية المركبة يمكن التمتع والتلذذ به على اكثر من مستوى واحد فمثلا لا بد وان يعجب المتفرج بالالوان الزاهية والملابس الجميلة وبراعة الممثلين والمهارة التكنيكية التي حققت هذا الاستعراض الحافل ولكن يخطيء من يظن ان ليس في لاتيرنا ماجيكا سوى هذا الاستعراض المرح أو أن قيمتها المسرحية تقتصر على جمال الملابس وبراعة الممثلين والفنانين فقط . واذا تمعنا في المواضيع والمناهج التي يرتكز عليها هذا البرنامج وحللناها قليلا لا بد وان تزداد مقدرتنا على تذوقه كوحدة فنية جذابة ومثيرة تسمو بنا فوق مستوى التمتع السطحي .

من أوضح وأدهش مميزات هذا البرنامج استعماله لوسطين فنيين في آن واحدهما السينما والمسرح . اننا نجد أشخاصا بلحمهم ودمهم يمثلون على المسرح ونشاهد معهم مناظر متعددة تعكسها الكاميرا على الشاشات البيضاء فتتشابك وقائع المسرح وأحداث الشاشة فتتقاطع هنا وتتداخل وتلتقي هناك لتؤلف وحدة فنية يسودها الانسجام التام وينبثق عنها تأثير فني جديد في نفس المتذوق .

ان لاتيرنا ماجيكا لا تقتصر على المزج بين السينما والمسرح بل تتعدى ذلك بجرأة لتجمع بين الفنون الجميلة التقليدية والفنون الصناعية التكنولوجية الحديثة . فمثلا يلتقي الرقص على المسرح ويمتزج باللهب المتدفق من مشعل « لحام الاكسجين » ويتساءل البعض ما العلاقة بين رقص الباليه بخفته وسحره ومشعل « لحام الاكسجين » بضجيجه وثقل ظله ؟ والجواب الشافي هو : عليك أن ترى بأم عينك لاتيرنا ماجيكا واستعمالها الفذ لامكانيات السينما والمسرح لتوحد بين هذين القطبين المتباعدين في تجربة فنية رائعة . ولكن بما ان لاتيرنا ماجيكا تجمع عمدا بين المتناقضات والمتباعدات وتنقلنا بلمح البصر من عالم الباليه الى عالم الفولاذ المصهور ومن الاجهزة الالكترونية الى الانفعالات العاطفية لا بد وان يشعر البعض ان برنامجها مفكك الاوصال لا تربط بين اجزائه روابط متينة تسير بالمشاهد بتسلسل معقول من منظر الى آخر ومن حادث الى حادث فيرى فيه فوضى تضعه خارج نطاق الفهم . ان سبب هذا الشعور الذي قد يتولد عن البعض هو ان لا تيرنا ماجيكا تضم معا عناصر لم نعتاد على جمعها وتسلك اساليب غريبة لا عهد للكثيرين بها فهي حقا مجددة

ومحدثة فلا غرابة اذا . ان استعصى فهمها على البعض .

اذا القينا نظرة على الخدع السينمائية والمسرحية التي يتحلى بها هذا البرنامج سنجد ان بعضها بسيط ومثير للضحك والبعض الآخر مركب وذو اثر فني جمالي في نفس المتفرج واهم هذه الخدع الاستخدام الحر للزمان المكان طوال البرنامج .

الزمن في عرفنا العادي وسط يحوى بشكل ما على الوقائع والاحداث ويضفي عليها صفة التتابع والتلاحق . ولكن الزمن في برنامج لاتيرنا ماجيكا يشبه الزمن « البروستي » (نسبة للكاتب الفرنسي الكبير مارسيل بروست) اكثر مما يشبه زمننا العادي الذي نقيسه بساعات اليد والحائط . ففي زمن لاتيرنا ماجيكا تمتزج الحقيقة بالخيال وتتداخل اطراف الواقع بعالم الاحلام فهناك زمن من يحلم احلام اليقظة وزمن من تتداعى افكاره بحرية مطلقة وزمن ساعة اليقظة العادية ولاتيرنا ماجيكا من الاعمال الفنية التي لا تتمسك بوحدة الزمن التقليدية وتحرر نفسها من الخضوع التام لسياق زمن اليقظة العادية فتعرض علينا تقاطعات هذه الازمنة المختلفة فتعطينا نظرات متعددة ومن زوايا مختلفة لما ندعوه عادة بالواقع وتولد فينا تجربة اكثر غموضا وابهاما من ساعات اليقظة اليومية ولكنها تحتوي على قدر اعظم من المشاعر الفنية الدقيقة والعميقة التي لا تطفو على سطح الشعور في ساعات وعينا اليومي . ومن خلال هذه التجربة نرى ان ما ندعوه بالواقع يفقد شيئا من حدة جنباته حتى تتداخل أطرافه بأطراف عالم الحلم ماجيكا التي تزودنا بأمثلة جيدة عما أوردناه .

ماجيكا التي تزودنا بأمثلة جيدة عما أوردناه .

آ) تخيلات الشخص الماثل امامنا على المسرح حاملا مظلته واحلام اليقظة التي تمر برأسه فنراها كلها على الشاشة البيضاء .

ب) في نفس المشهد نرى عامل الزجاج التشيكوسلوفاكي يستلهم فقاعة ماء ليبدع اشكالا جميلة من الزجاج باحثا لها في مخيلته عن المغامرة الخالدة ... عن الحب . فقاعة الماء والالهام وصناعة الزجاج والحب والخيال التقت كلها بانسجام تام في هذا المشهد الجميل .

ج) في مقطع آخر يتخيل طيار نفسه راقص باليه يحاول أن يسحر راقصة ذات رداء احمر - وسمات الحلم والخيال ظاهرة تماما في هذا المقطع - الى ان يظهر بلحمه ودمه على المسرح بينما تبقى شريكته في المغامرة مجرد صورة على الشاشة البيضاء .

اما الاستعمال الحر للمكان فواضح جدا . حينما ننظر الى حادث ما نركز انتباهنا في مكان محدد لنعزله عما يحيط به ويجاوره من الاشياء ولكن لاتيرنا ماجيكا تبدد هذا المنهاج في النظر الى الوقائع ، فتعرض علينا حوادث عديدة في آن واحد وفي اماكن مختلفة عوضا عن ان ترينا احداثا متتابعة في حيز محدود من المسرح كما جرت العادة . فمثلا نرى المذيعة بذاتها على المسرح تحمل المكروفون وفي الحين ذاته نرى ايضا صورها على شاشتين وتتكلم هذه المذيعة ثلاث لغات مرة واحدة اي اننا نراها ونسمعها ثلاث مرات في آن واحد . ويجب الا ننسى تلك الاوركسترا الكبيرة المؤلفة من موسيقي واحد يعزف على مختلف الآلات في آن واحد ولكن في اماكن متعددة .

ومثال آخر على هذه النزعة مشهد الراقص الذي يقفز على المسرح باحثا عن شريكته التي ترقص على الشاشة البيضاء واخيرا يختطفها ويحظى بها ولكن .. على « طارة من القماش » .

ان الفكرة وراء هذا البرنامج (باختصار وبلغة الفنون) هي الجمع بين النزعة التجريدية - الرمزية والنزعة الواقعية في الفن والمنهج الذي تبعته لاتيرنا ماجيكا لتحقيق هذا الغرض هو الجمع بين الفنون الجميلة والفنون الصناعية وما تتضمنه من عمل مجهد مثمر .

ان النزعة التجريدية - الرمزية تميل نحو التحريف والتشويه وتستوحي موضوعاتها من العقل الباطن وتسبح في عالم الخيال والاحلام واختارت لاتيرنا ماجيكا رقص الباليه ليمثل هذه النزعة لان مواضيع رقصات الباليه

تدور عادة حول الأميرات والحوريات والجنيات والاحلام والتخيلات • اما المدرسة الواقعية فتأخذ شريحة من الحياة لتدرسها بدقة على علاتها معبرة عن حقيقتها كما هي دون تشويه أو تحريف واختارت لاتيرنا ماجيكا الصناعة والآلة والعمل المنتج لتمثيل هذه النزعة والبرنامج يمزج بين هذه العناصر ببراعة فائقة كما قلنا سابقا • ان منظر الفولاذ المصهور وشعلة « لحام الاكسجين » لا توحي لنا عادة بمشاعر فنية عميقة ولا تؤدي بنا الى تجربة التذوق الفني ولكن لاتيرنا ماجيكا تعرض علينا هذه المشاهد الصناعية بشكل يقودنا الى تلك التجربة فهي لا تبحث عن القيم الجمالية والايقاع والتناسق في الفنون الجميلة التقليدية فقط بل تنقب عنها ايضا في شتى انحاء البشر بمساعيها العديدة ومتاعبها اللامتناهية • لذلك نرى الفتيات يرقصن الباليه متجهات نحو باب الطائرة النفاثة ليقفزن بمظلاتهن ونراهم يرقصن في وسط المعدات الاليكترونية المتوهجة وتحت قرص الرادار وعلى اسلاك الكهرباء •

اما موسيقى البرنامج فهي في غاية من الروعة وتتألف من الأيقاعات التقليدية ممزوجة بالانغام المحشودة من الاصوات الصادرة عن حقل الصناعة كصوت القطار السريع والطائرة النفاثة التي توشك على الاقلاع والاصوات الصادرة من المصانع وورشات العمل • ليس من العسير على المشاهد ان يلاحظ كيف يندمج دوي الطائرة النفاثة بالألحان التي تعزفها الاوركسترا على المسرح لتعطينا تجربة جديدة في عالم الانغام والاصوات •

لاتيرنا ماجيكا برنامج من وحي حضارتنا الآلية التكنولوجية ومحاولة جريئة للتوفيق بينها وبين التراث الفني الكلاسيكي الانساني ولذلك نجد فيها استعارات ومجازات جريئة لم نعتد عليها ومبالغات وايجازات رائعة لم نعهدها من قبل ، اما رسالتها فهي : لا فصل بين الفن والحياة ... وخاصة حياة العمل المضني المثمر •

الدكتور صادق جلال العظم



شعر : باكير محمود

من همسه ورؤى محياه ... من شوقه وحنين ذكراه
من صمته تروى حكايته ... ان الهوى ما كان لولاه

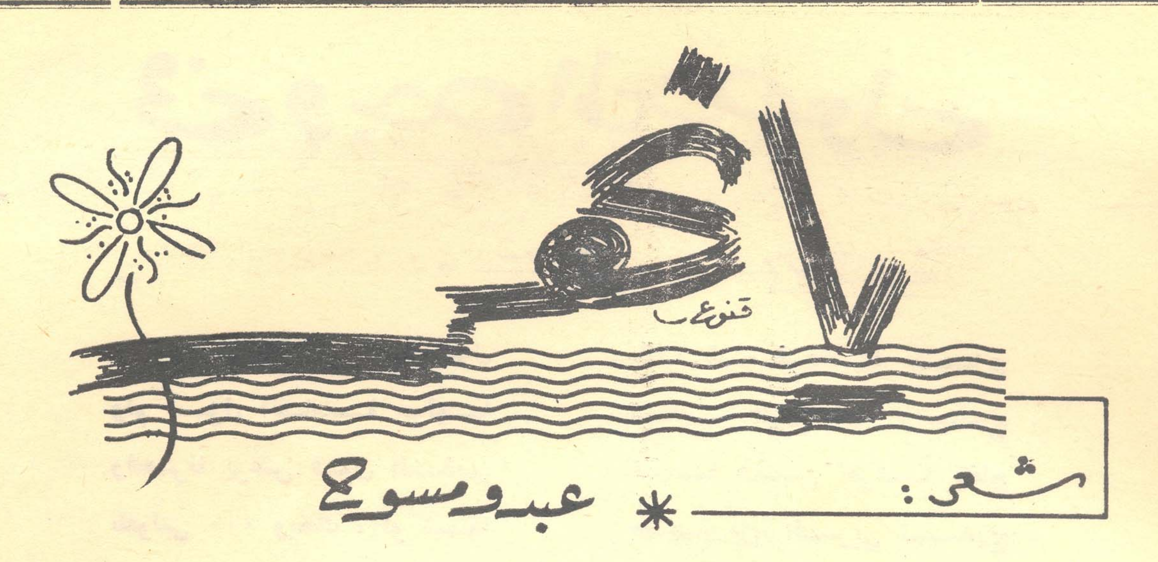
* * *

لمن الفؤاد يضم ما رحبت ... دنيا ويجمع من سجاياه ؟
لمن الهوى ؟ لمن الحنين اذا ؟ ... رفت على أيك جناحاه
لمن الغصون تمد وارفها ؟ ... تحيا على شوق لتلقاه
وتميس لا سأم يراودها ... لتكون بعضا من مطاياه
والجدول الرقراق أسكره ... هب الصبا والتف عطفاه
وانساب مزهوا على مهل ... أين الذي قد كنت ألقاه ؟

* * *

ترف البنفسج في مساكبه ... يزوي ويحضن سر دنياه
وأتى الخريف يميت أضلعه ... والريح تعصف في بقاياه
والورد شاب وما يعاوده ... عمر الشباب ولا محياه
ذهب الذي قد كان يطربهم ... والدوح بعض من ضحاياه
لا رفة بجناحه بقيت ... لا شدوه حتى ومأواه
الا صداه في تأملهم ... تغزو الغروب بكل مسراه
رجع يردد في مسامعهم ... همس المحب يبث شكواه
أن الذي أهوى ويهواني ... لا تؤمنوا أني سأنساه

سلمية ـ باكير محمود



يا نهـر أنت عـوالم مجهـولة … تجـري سريعا دونمـا استقرار

ان كنت تعلم ما الحيـاة وسرها … خبـر فؤادي واسـتمع اخبـاري

أنا مثـل مائك رقـة وعذوبـة … تحيي وتبعث نشـوة أشـعاري

يا نهـر جئتك منـذ عام منشـدا … فجهلت رغـم بسـاطتي أفكاري

أيظل هـذا الدهـر في هـذيانه … تكسـو رؤاه بـلادة التـكرار ؟

يأتي الربيع .. فكل غصن باسـم … أتـراه يضحك مـن بـكا آذار ؟

واذا خـريف العمـر جـاء مودعـا … ذرف الشـتاء مدامـع التـذكار

أحياتنا شـكوى وبسمة عاشـق … كلتـاهما للقبـر والاحجـار ؟

يا نهـــر ما جفت مـدامع أعيني … يومـا .. ولا حـل السرور بداري

يا نهـر ان فتـك البلى بمفاصلي … وشكت مصـاعب رحلتي أسـفاري

أمرر عـلى قبـري وبـرد تربتي … فيهش مـن تحت الثـرى قيثاري

حمص - عبدو مسوح

في وجه المجهول

شعر : محمد الجنيدي

... هناك ريحاناتنا لم تزل ... بألف طيب طيبها يمزج
ولم تزل أنسامنا حولها ... تسألها الراح ... وتستدرج
وفجرنا يرعش فوق الذرى ... كأنما عن ثغرها يخلج
طفولتي ... ويحك ، لو شمتها ... حمامة ملء الربى تدرج
وصحبتي ، مثل عيون الندى ، ... ما زوقوا القول ولا بهرجوا
قلوبهم أكمام ورد على ... أنفاسها يغفو الشذى المبهج
ودعتهم ، والدرب مكسورة ... في المنحنى ، والمنحنى مثلج
ورحت يحدوني هوى جامح ... وخاطر مستوحش أهوج
أفلت كالاعصار لم يثنه ... صعب ، ولا ضاق به مخرج
رنا الى المجهول ، ثم انثنى ... يلطم وجه الريح او يسرج
ودست قلبي فتلوى الثرى ... وارتعش اليابس والممرج
ثم استوى ... فهوى على ثغره ... فجر ، وفي معصمه دملج
هذي طريقي ، قد سقاها دمي ... حتى نما الريحان والعوسج
وزورقي تاه على لجة ... أمواجها من حنق تلهج
أحن للفجر ، وخيطانه ... في كفني تنسج ما تنسج ...

* * *

وطفلة ، والريح من حولها ... أبواق جن في الدجى تهزج
غفت ، وما أجفل من جفنها ... طيف ، فذا قلبي لها هودج
ما ضر يا اعصار لو انها ... نسائم من حبق غنج
ما ضر لو تملأ آفاقنا ... حمائم رف لها نفج
واستيقظت من نومها طفلتي ... وعاد لي صحبي وما روجوا
واستقبلوا أنسام فجري الى ... حيث يغيب الكوكب الابلج
فيا رفاق الامس في المنحنى ... خلف السنا أنهج ما أنهج

* * *

هناك ... حيث الرعب شد الرؤى ... وحيث يرتد الصدى المزعج
ويا رفاق الامس في المنحنى ... لا توقظوا همي ، ولا تفرجوا
أطلعته فجرا على ساعدي ... يصحو ، وفجرا في دمي ينضج

من زاويتي

بقلم نجيب حوا

بقلم : نجيب حوا

مأساة المجلات الادبية

استطاعت المجلة الادبية [1] في تاريخ الصحافة العربية ، أن تقوم بدورها الايجابي العميق ، في بعث ونشر الثقافة الفكرية والعلمية والادبية . فعلى الرغم من ضعف الامكانيات المادية التي صاحبت خلق هذا الصعيد الادبي ؛ فقد ظلت المجلة الادبية « مصباح ديوجين » الذي يبدد ظلمات الجمود الفكري ، والتخلف الحضاري ، والعطاء الانساني في افقنا العربي كما كانت المجلة الادبية المسرح الذي تفجرت في جنباته عطاءات مفكرينا وأدبائنا وشعرائنا ومصلحينا ... والوسيلة الوحيدة لتعميق الوجدان العربي بزخمه الانساني وتعزيز عراه بين ابناء امتنا العربية .

وفي تاريخ صحافتنا العربية نجد الكثير من هذه المجلات ، التي ساعدت في تفجير ثورة ادبية اصيلة .. كـ « الرسالة » لاحمد حسن الزيات و « الكاتب المصري » للدكتور طه حسين و « الثقافة » لاحمد امين و « الرسالة » اللبنانية لجان كميد و « أبولو » للدكتور أحمد زكي أبي شادي و « القلم الجديد » لعيسى الناعوري و « السمير » لايليا أبو ماضي . الا ان معظم هذه المجلات قد مات وجودها ، وتمزق كيانها ، ويبس حرفها . ولم يبق من عطائها ـ وما أجله من عطاء ـ الا صورة باهتة المعالم في اذهان الكثرة الغالبة من ابناء الجيل المعاصر .

أما اليوم .. ! فما زالت المجلات الادبية والفكرية في صراع يائس مرير ـ بكل ما تملك من قوى مادية ، وفكرية ، وروحية ـ لاثبات وجود اصيل ، ولتأدية رسالة حقة في خدمة الضاد والعروبة والفكر الانساني المبدع .. وفي طليعتها ـ على سبيل المثال لا الحصر ـ « الاديب » لالبير أديب و « الآداب » للدكتور سهيل ادريس و « العلوم » لمنير البعلبكي و « المجلة » لمحررها الدكتور علي الراعي و « الشهر » لسعد الدين وهبة و « الافق الجديد » لامين شناز و « المثقف » للدكتور مهدي مرتضى و « الاديب العراقي » للدكتور مهدي المخزومي و « الثقافة » لمدحة عكاش .

هذه الحقيقة المرة ! لا يجهلها أحد أبدا . اذن ..! ماذا عملت الحكومات العربية للحفاظ على هذا التراث الخالد من مجلاتنا الادبية الراحلة ؟! وماذا قدمت من معونات لاصحاب الاقلام المكافحة ـ حاليا ـ في درب الثقافة والحياة ؟! قد يبدو من العسير ـ جدا ـ ان تعود هذه المجلات لتشرق في أفقنا العربي ، فترفد أدبنا الحديث بمزيد من الاصالة الحقة والعطاء الطيب ؟ وقد يكون من الصعب ـ جدا ـ احياء هذه المجلات بنشرها في مجلدة واحدة أو مجلدات فيتعرف أبناء هذا الجيل الصاعد على معالم نهضتنا الفنية والفكرية ، التي تظلل وجوده وحياته .. الا انه لن يكون من الصعب ابدا دعم اصحاب المجلات الفكرية الادبية ليستطيعوا بذلك شق آفاق حضارة فكرية جديدة في أدبنا العربي . فعلى الحكومات واجب تعبئة جميع القوى المادية لخدمة المجلات الادبية ، ورفع مستواها ؛ فتعمل على تأمين المواد الاولية

---

(١) وردت بعض افكار هذه الكلمة في مقال نشرته مجلة «الاديب» اللبنانية ، تحت عنوان « دور المجلة الادبية في النهضة الفكرية » . سبتمبر ١٩٦٢

لاستمرارها ، وان تبادر الى الاشتراك بأكبر كمية ممكنة لتوزيعها على مراكزها الثقافية وجامعاتها ومدارسها، والا فانه ستأتي اللحظة التي يتسمم فيها الجو الادبي ، وسيتعذر - حينذاك - تدفق هذا العطاء بنبضه وحرارته.

بدر شاكر السياب والشعر الحديث

صاحب « انشودة المطر » الشاعر العراقي « بدر شاكر السياب » ، تناول في حديث قيم [1] عمق الازمة الحادة التي ينتفض منها الشعر العربي .. ألا وهي : مشكلة التحرر من الوزن والقافية ومدى ضرورة هذا التحرر في الخلق الشعري !؟ واهم اسس ومقومات الشعر الحديث فقال : « اذا كانت تقاليد الشعر الفرنسي ، بصورة خاصة ، تسمح بما يسمى بـ « قصيدة النثر » و « الشعر المنثور » بأن يأخذ محلهما الى جانب الشعر كما عرفه الناس منذ البدء ، فليس في تاريخ الادب العربي كله ما يشبه هذا . وليس حتما علينا ان نقلد الغرب في كل ما يفعل . ان « الشعر الحر » - كما سمي الشعر الذي نكتبه - لم ينفلت - من الوزن ولا القافية ... لكنه استغل ما في الاوزان العربية - اوزان الخليل - من امكانيات وتفلت من وحدة القافية في القصيدة .. وقد سبقنا شعراء المهجر وكثير من الشعراء اللبنانيين والسوريين والمصريين الى التفلت من وحدة القافية . انك اذا « حررت » الشعر من الوزن والقافية ، تكون كمن « يحرر » الطير من الهواء والاسماك من الماء . ان الوزن هو الضروري في الخلق الشعري » .

وقال ان « .. من اهم اسس الشعر الحديث ان يكون للشاعر موقف معين من الحياة والموت والدين والحرية والقضايا المماثلة . ومن المهم ايضا الا يكتب الشعر الا حين يحس بأنه سينفجر ، سيموت ، سيختنق ان لم يكتب . ومن الضروري ان يعيش الشاعر عصره .. ويعيش في وطنه ، روحيا بالطبع ، من الضروري ان يكون محليا قبل أن يكون عالميا . ويتبع ذلك انتقاء الالفاظ الحية التي لم تبل جدتها ، واختيار أبسط الاساليب ، واجملها للتعبير عن عواطفه وافكاره » .

أضع هذه النظرات البعيدة الرؤى ، والكثيفة الغور ، في زاويتي هذه ، لأدلل على عمق الفاجعة التي يتردى اليها الشعر العربي .. ولافتح باب المناقشة الحرة على مصراعيه ، أمام رواد الشعر الحديث ، ليدخله الفاتحون .

---

(٢) نشر هذا الحديث في الملحق الادبي للجريدة اللبنانية - ١٩٦٢ - .



نجوم لا تحصى

مجموعة قصص ـ تاليف فاضل السباعي

منشورات مكتبة الحياة بيروت

عرض وتحليل بقلم : نجيب حوا

يعتبر « فاضل السباعي » من كتاب القصة الواقعية المحلية في أدبنا السوري .. فأجوائه الشعبية بخطها الانسانية ، وصوره المفعمة ببحر الابداع توحي بذلك ، وتبشرنا بعطاءات خير وأصالة ، وقد نجح « فاضل السباعي » نجاحا طيبا ، يشعرنا بالثقة والطمأنينة لمستقبل القصة السورية المعاصرة .. « بيد أن النجاح الذي حققه قصاصنا يبدو نجاحا نسبيا اذا ما قيس بالقصص العالمي . لأن القصص في أدبنا العربي ، لا تزال في أول الطريق . فلم يقدر لها أن تحلق في الفضاء العريض الذي طالما صفقت فيه أجنحة القصص العالمي . فحكاية الوجود ، وحقيقة الزمان والمكان ، ولغز الانسان والانسانية كل هذا لم يتجاوب ، بعد في أعماق قصتنا تجاوبا عميقا .. »

الا أن « فاضل السباعي » وفي مجموعته الاخيرة « نجوم لا تحصى » خاصة يحاول أن ينطلق من الاسار الضيق ... وظلام التقليد البائس الذي يحياه بعض أدبائنا ، ليعالج مآسي المعذبين في توثبهم نحو حياة كريمة .. وكيان أفضل ... ضمن اطار انساني كثيف . والملاحظ عند فاضل أنه يغوص الى أعماق أعماق وجودنا الشعبي ، ليحيا رعشة الخلق بعمق وحذر . وأنه يقف ويطيل الوقوف حتى يقدم لنا لوحة تعبق بالحياة والانسانية .

* * *

« ... وهناك قرب الافق ، كانت نجمة معتصمة بالصمت ممعنة في حزنها .. انها وحدها بين النجوم التي تعلم أن أحدا لن يلتقي بالصبي بعد اليوم .. ذلك أنها هي التي تراءت له هالة من نور حين كان يودع عهده بالنجوم ، والبيع ، والحياة جميعا .. » . بهذه الكلمات الموجعة تنتهي قضية حزينة .. وتموت أمنية طالما عصفت برأس الطفل الصغير .. بطل « نجوم لا تحصى » القصة الاولى في المجموعة الجديدة لفاضل . تحكي القصة بواقعية وصدق ، وباسلوب ايجابي سهل حكاية طفل صغير يبيع الكعك ، ليحصل بما يربحه عما يرد عن أمه ، قعيدة البيت ، الاسى والمرض ، وليشارك أباه كفاحه المرير ضد الجوع والقلق . وفاضل في حديثه عن النجوم يرمي بذلك الى رصد الامنية في أفق الصبي الصغير ، الطامح لغد أفضل ، والمتطلع لآفاق زاخرة بالاحلى والاجمل . الا أنه سرعان ما يتلاشى نور تلك الامنية ، بل ويكاد ينعدم ... اذ يتصدى له غريمه المزاحم للبيع والشراء ، في الباص قائلا :

« ـ اقبض الثمن . وانزل حالا !

ـ بأي حق تطلب مني النزول ؟

– لأني أنا وحدي الذي أبيع هنا ... أبيع من خمس سنين !

– وما فيها اذا بعت معك ؟

– أكسر رأسك ، واقلع عنيك ، دون أن يشفع بك انسان هذا رزقي .. اخرج وابحث لك عن رزق ».

وتشتد الازمة بين الصبي والفتى . وهذا ما أراده الكاتب . فمشكلة كل منهما تشترك مع الاخرى بخط واحد ! كل منهما يحاول أن يبحث عما يسد به جوعه وألمه ، وكل منهما يحاول أن يثبت وجوده وتمرده على صعيد الحياة .. الا أن القوة هي التي تنتصر ، وهي التي تضع حدا فاصلا للاماني . « وأيقن الصبي بالهلكة ، عندما ارتفعت قبضة الفتى تسدد اليه الضربات المتلاحقة ، وهو لا يستطيع أن يبدي من المقاومة سوى الصرخات الذاهبات بددا » .

وفي « أغلال صغيرة » تتلمس حرارة الامنية ..

وعذوبة النغمة الانسانية ورقتها اذ نغوص الى أعماق « رجاء » الثائرة على مدير مدرسة خاصة « سفحت فيها ماء صباها في روضته ، تعلم له الصغار باخلاص ، فتتهافت عليه الاقساط يحملونها اليه أول كل شهر ، فلا ينالها وزميلاتها سوى الفتات ، أقل من نصف ما يقرره القانون لهن من أجور » . ان ضياع وجودها .. وتمزق كيانها الانساني أشعرها بأنه « آن لها أن تتمرد » لتتمكن من تحرير ذاتها من أغلال العبودية ، والخلاص من « عابس الوجه مقطب الجبين » . وتشتبك خيوط المشكلة وتتعقد ، ويتأزم الموقف عندما يحضر مندوب الحكومة مستفهما عن الاجور ، واذ ذاك تنفلت الحقيقة من عقالها ، وتنطلق صارخة بشدة .. بعد كبت خمس سنين طويلة وتتوضح معالم الامنية .. وتنتصر في النهاية « أنا مضطرة لمغادرة الروضة نهائيا .. الحكاية .. أني خطبت .. وخطيبي لا يرضي لي العمل » . هذه النهاية ليست بالحل الجذري لمشكلة من مشاكل حياتنا العامة ، بل تبدو حلا لمشكلة فردية لا أكثر ولا أقل . وكان الاولى بالاستاذ فاضل أن لا يقتصر على عرض المشكلة .. والحديث عنها ، بل يغوص الى دفينها ليوجد الحل الجذري لها .

وفي قصة « لم تطرف العين » تبدو شخصية « أبو محمد » العامل البسيط « الذي يكد ويكدح ليبني لاسرته مستقبلها الوادع المطمئن .. غير مقتصد براحته وعافيته وعرق جبينه ، ودم قلبه الغالي » . كما تتوضح خيوط مشكلته لارتباطها ارتباطا وثيقا بالحالة الاقتصادية للبلاد ، والمتأرجحة بين الاستقرار وعدمه فطالما أن الاسواق التجارية مفتوحة على مصراعيها ، فأمنيته سرعان ما ستتحقق ، وسيتسنى له بالتالي بناء العش الهادىء لعائلته . لقد ارتبطت من قبل في قلب رجاء ، وفي وجود الصبي الصغير بطل « نجوم لا تحصى » ، وتأرجحت بين النوسان وعدمه . وهناك شخصية ولده « محمد علي » والتي تكاد تذوب في شخص خاله الغني المغترب . وبحضور الخال تنوس الرغبة الجامحة – في الغنى والثروة – نوسانا سالبا في ذات « محمد علي » . لانه وجد في خاله نفسا أفقدتها جراثيم المادة ، الانسانية والمعقولية . اذ يحاول خاله أن يقوض أركان العش الهادىء الذي تحياه أخته ، لمجرد أن زوجها عامل بسيط لا يجيد التأرجح في عالم الكذب والتملق ، وهكذا تتكشف القضية عن خطين واضحين غير متعارضين أبدا . فأمنية الاب تتذبذب تذبذبا سالبا . أما « محمد علي » فانه يشعر بفشل أمنيته وغايته فيرتمي في أحضان أبيه يائسا محطما .

و « حادث في قصر السعادة » لوحة طريفة في مجموعة فاضل . فالشيخ « جاسم بن علي التعبان » غافيا في أحلامه .. وقد تراءت له ابنته خضرة بفرحتها الحارة ... « ان خضرة سعيدة هذه الايام ، وانه لكذلك سعيد .. سيكتب لها أن تتزوج قريبا » . أما سر سعادته فلأنه

سوف « يعمل على شراء ثلاث بقرات حلوب تدر عليه اللبن وتحرث له الارض » . فالفرحتان مرتبطتان بأمنية واحدة . والاطار الشعبي الذي عرضت من خلاله هذه القضية ، هو حادثة صغيرة في فندق « قصر السعادة » . فصاحب الفندق يضطر للاستفادة من سطح الفندق لايواء الوافدين اليه ، ضاربا عرض الحائط بتحذير الرقيب « عبد الحسيب » من « أن ينهض من نومه على السطح نائم في عتمة الليل ، فلا يستبين له – مع الظلمة والنعاس الغالب – الطريق الى الباب الصغير المؤدي الى البهو فيتراءى له أن يسير الى الشمال ، حيث السوق ، فيسقط الى الهاوية من عل ، ولا يصحو بعد هذا أبدا » . وهكذا يوقظ فينا « فاضل » لهفة مرة لمعرفة النهاية الفاجعة ... الشيخ جاسم في المستشفى ممددا في سريره وقد « اشتد النزيف في داخله ، وهو غائب عن وعيه . وروحه تتسرب من خلال نوافذ المستشفى الى أعلى ... ومافاتها أن تعرج في تحليقها على الضيعة ، لتودع البنين والبنات والاحفاد ، وهم في انتظار أن يعود الشيخ من المركز يحمل معه عدة الفرح القريب » .

أما قصة « الاماني الحائرة » فهي شريحة غنية تزخر بالجدة والبساطة ، تحكي بلغة حلوة مأساة أم لطفلين صغيرين فارقها عزيزها الغالي ، فوجدت نفسها وحيدة في معترك الحياة .. الا من صديقتها « درية » التي غرست في قلبها « ألف ياسمينة أمل » وهي تنصحها قائلة : « خيطي الفستان ياسامية واسكبي فيه كل مهارتك ... وأنا أتعهد بأن أبيعه لك بربح كبير » .

وبدأت في خياطة فستان صغير وادعة مطمئنة .. ففي « أذيال هذا الفستان تتعلق أمان ، ومن أثنائه سيشرق غد بسام وشموس وضاء » . « كانت الاماني تولد في قلبها ، وتزهو ، ثم تذوي وتموت ... لتولد في أعقابها مائة أمنية جديدة تصير الى المصير ذاته » !

« – هل ستبتاع الفستان سيدة ؟ » .

« – وهل سيباع بالثمن الذي حدد ؟ بالعشر ليرات جميعا ؟ » .

« – يا ربي ، يا ربي ! هل سيكتب لي أن أخيط سواه ؟ عشرين في الشهر مثلا ؟ فاشتري الماكينة الحبيبة ؟! » .

واذ يشتد هيجان مأساتها وقلقها ، تختنق رغبات سامية وتموت جميعا .. لخوفها وضياعها . « يا للحظ التعس ! التي مات عنها زوجها وهي في ريعان شبابها ، مستحيل أن تلقى في بقية عمرها النجاح ! » ... ونكاد نشعر بصلابة هذا التفتت النفسي ، وهذا العذاب المضني .. ونترقب وجلين نهاية القصة .. التي تنتهي بحل بدائي بسيط ، بالنسبة لمأساة أسرة فقدت معيلها في الحياة فغدت وحيدة ضائعة في درب الحياة الشائك .

أما « كبرياؤك يسلم لي » فهي صورة قصصية شاعرية حلوة .. صب فيها فاضل جميع ما يملك من حنان وحب .. وفيض عاطفته لطفلته الصغيرة .

* * *

ان قصص « فاضل » تلتزم خطا واضحا بالنسبة لقضايا مجتمعنا ، اذ تعالج مشكلات بيئتنا وحياتنا باسلوب بسيط وسهل ، فتأتي صورة مخضبة بدم الحياة والواقع . الا أن بعض قصصه تفتقد عنصر التشويق الحار .. ذلك العنصر الهام ، والضروري ، لتأتي القصة برد فعل قوي لدى القارىء . أما حواره – فعلى الرغم من جماله – فانه يتأرجح بين التركيز والتلاشي . ومع هذا فان المؤلف الشاب – في هذه المجموعة – يثبت وجوده ككاتب انساني طيب بصر على ابراز أهمية الصراع الاقتصادي والمادي ، كأساس متين في تكوين شخصيات أبطاله .

سميرنسكي

ابن الشمس ، مغني الطبقة العاملة

اقتباس وترجمة احمد سليمان الاحمد

شعر سمير نينسكي ثمرة الطبقة البروليتارية البلغارية ، وهو امتداد طبيعي للخط التقدمي في الشعر البلغاري عبر التاريخ ويبتدىء هذا الخط بالغنائية الثورية لدى شاعر الحرية كريستوبوتيف اعظم شعراء بلغاريا ، لكي يتخذ لدى سمير ننسكي شكلااكثر وضوحا نتيجة للتأثير التاريخي ، ومعنى ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى • لذلك فقد كان هذا الشعر ابداعا رائعا ضمن شروط اجتماعية وسياسية جديدة ، وعنصرا طبيعيا للنهضة الثورية لدى جماهير العمال التي يقودها الحزب الشيوعي البلغاري • ومن هنا كان سمير ننسكي هو ماياكوفسكي بلغاريا ولكن علينا ان نضيف الى ان ليس ثمة اية قربى فنية بين الشاعرين • وسمير ننسكي ايضا من حيث الدور الذي لعبه ، ومن حيث مصيره كشاعر يذكرنا بالشاعر التشيكي ايرجي فولكر ، ومع ذلك فهو يتميز عنه تميزا واضحا من حيث الفن • ولكن من حيث المركز الذي يحتله الادب البلغاري الوطني وكذلك من حيث موهبته وطبيعته النضالية في اعماله الادبية فان سمير ننسكي يتفق مع الشاعرين السوفياتي والتشيكي •

مكان الولادة ـ اعوام الطفولة ـ الهجرة

ولد كريستو سمير ننسكي في ٣٠ ايلول عام ١٨٩٨ بمدينة « كوكوش » في مقدونيا وفي عام ١٨٦٠ شارك هذه المدينة ودائرتها بقوة في النضال من اجل استقلال الكنيسة ضد نير البطريركية اليونانية الروحي •

وقد ادى استياء الجماهير الكادحة في مدن وارياف مقدونيا الى نضال منظم ضد الحكم والنظام الاقطاعي التركيين • ورافقت بداية هذا النضال الذي قام به الشعب المقدوني للتحرر من النير العثماني ، تسرب الافكار الاشتراكية الى البلدان البلقانية ، وخاصة انتشار هذه الافكار في بلغاريا • وكان الحزب العمالي الاشتراكي ـ الديمقراطي البلغاري (اشتراكيو اليسار) يمارس تأثيرا قويا على ايديولوجية وسياسة الحركة الثورية القومية في مقدونيا • وكان عدد كبير من مناضلي هذا الحزب بقيادة قادة مرموقين اكفاء مثل ديميتر بلاغويف وجورج ديمتروف يأخذون بنصيب مباشر فعال جدا في النضالات من اجل تحرير مقدونيا • ولم يكن من فعل الصدفة ان يطرد غوتسي ديلتشيف مؤسس ومنظم وقائد وايدلوجي المنظمة الثورية المقدونية في الداخل في المدرسة الحربية في صوفيا باعتباره « اشتراكيا » •

وكانت مدينة كوكوش في الصفوف الاولى في النضال ضد نظام الامبراطورية العثمانية الاقطاعي المهترىء وذلك بفضل سكانها الكادحين المتيقظين ومثقفيها التقدميين الذين شب بينهم غوتسي ديلتشيف ومكن شخصيته •

كان عدد سكانها عشية الحرب البلقانية من ١١ الى ١٢ الف نسمة ، وكان اغلبهم مزارعين وعمالا يدويين وتجارا • وكان قرابة ٢٠٠ رجل وامرأة يشتغلون في مستودعات التبغ دون ان يكون لديهم مع ذلك وجدان بروليتاري طبقي محدد بوضوح • فقد كان هذا العمل في الغالب يجيء متمما للارباح الهزيلة التي كانوا ينالونها من قطعة ارض او من مهنتهم التي كانت تؤول الى السقوط فاقدة اكثر فاكثر ، علة وجودها •

لقد كان انهيال الرأسمال الاوربي على تركيا ، والسلع الاكثر ربحا والاجود صنعة والتي كانت تنتجها الصناعة المزدهرة في البلدان الرأسمالية ، كان هذا قد وجه ضربة قوية للمهن اليدوية واخذ التجار الصغار والعمال اليدويون في كوكوش وقد افلسوا او هددوا بالخراب يحاولون ان يتمموا مداخيلهم بانتاج التبغ الذي اصبح مطلوبا بكثرة •

كان ديميتر ازميرلييف ، والد سمير ننسكي ، وهو حلواني ، يهتم ايضا بتربية دود الحرير •

وكان التجار والعمال اليدويون حملة الافكار المستنيرة ، والشباب الذين يدرسون في الخارج يحملون معهم افكارا جديدة تقدمية لكوكوش • وبصورة عامة فقد كانت كتب وصحف تصل من بلغاريا وهي محررة ومطبوعة سالونيك ، فنجد في كوكوش قراء عديدين • وكان كريستو سمير ننسكي بين موزعي هذه الصحف •

كان طلاب المدرسة الثانوية والمدارس الابتدائية يملكون تحت تصرفهم مكتبة جيدة • وكان بين العمال اليدويين والتجار المثقفين من يملك مكتبة خاصة • وكانت هذه حال ديميتر ازميرلييف الذي كان يشتري كتبه من المكتبة البلغارية في سالونيك •

تيتم ديميتر (ميتزو) ازميرلييف منذ صغره فلم يتمكن من الدراسة الثانوية ، ولم ينه الا الصفوف الابتدائية الاربعة الاولى • ولكنه كان ذكيا جدا وكان يحب ان يتعلم وان يقرأ وكان يجد سهولة في الرسم وكان ديميتر منذ نعومة اظافره يهتم بالقضايا السياسية ويقيم علاقات ودية مع اصحاب الافكار التقدمية في كوكوش •

ولكن ديميتر ازميرلييف لم يحرم ابناءه من التعليم

كما حرم هو ، وقد كان ينظر دوما الى العالم والى الاحداث نظرة ملحد ، وانشأ ابناءه بنفس الروحية .

لقد كان ديميتر ازميرلييف بين اوائل الذين انضموا الى المنظمة الثورية المقدونية في الداخل . واخذ المناضلون يختلفون سرا الى بيت ازميرلييف ، ويختبىء فيه المتمردون ، ويقضي البرد ليلتهم هناك وكانوا يحملون اليه ويأخذون الاسلحة . ولم يكن يمكن ان يظل ذلك سرا على ابناء العائلة العديدين . واطلع الاحداث الكبار على نشاط ديميتر الثوري وطرزت راينا ازميرلييف ، المدرسة ، بتكليف من اخيها علم فرقة كراشواسينوف التي كانت ! تقوم بعملياتها في المنطقة . وقد رسم عمها ديميتر شكل التطريز ، وقد خبأته راينا ، عندما انتهت من عملها في اطار مرآة . وضاعفت الفرقة من نشاطها كما ضاعفت السلطات التركية من يقظتها ، خاصة بعد المعركة التي جرت بين هذه الفرقة وبين فرقة من الجيش قرب مستنقع اردجان . واخذوا بمراقبة مصنع الحلوى الذي يملكه اسباروخ شقيق راينا حيث كان يجتمع رفاقه وقاموا بتفتيش بيت ازميرلييف ولم يكتشف العلم لنقص في مقدرة الشرطة التركية فقط واوقف اسباروخ والوطنيون الاخرون في كوكوش ، وقادوهم في الاغلال الى المحطة ومن هناك بالقطار الى سالونيك حيث القوا بهم في سجن بياسكولي الشهير . ولم يتوصل الاتراك لاثبات جريمة الموقوفين ، وهكذا اطلقوا سراحهم ، ولكن اسباروخ ما عتم بعد ذلك ان اوقفته الشرطة التركية مرة اخرى .

في هذا الجو شب ابناء ديميتر : توما ، كريستو ، ناديجدا وانطون .

اخذ كريستو سمير ننسكي بالاختلاف الى المدرسة وهو في الخامسة من عمره ولم يكن قد بلغ السادسة عندما سجله اهله في القسم الاول من المدرسة الابتدائية .

وكان يساعد اباه ، مع ذلك ، في اعداد الحلوى وفي بيعها ايضا . كان يطوف ارجاء المدينة وهو يحملها على طبق كبير معلق الى عنقه .

وفي المساء كانت الام او الاب او الجدة تحكي قصصا للاولاد . وكانت هذه القصص في الغالب تهدف الى طرد افكار الاشباح والعفاريت من مخيلاتهم ، والسخرية من جميع الخرافات والاوهام .

وفي ربيع عام ١٩٠٨ انهى سمير ننسكي المدرسة الابتدائية .

وعرف ان له عما صوفيا ، وكان هذا العم ينشر اشعارا في الصحف والمجلات تحت اسم « بيبو » المستعار وان له ارتباطا مع كتاب ومحررين . وكانت اسرة سمير ننسكي تكتب غالبا الى بيبو ، مادحة ابناءها ، وخاصة كريستو الذي كان يتعلم جيدا ، وكان دوما منغمسا في المطالعة . واخبروه هو وجد سمير ننسكي ان ابن اخ الاول وحفيد الثاني قد نصحه الاطباء ، على اثر مرضه ان يغير المناخ ، فكتب هذان الى اسرة ازميرلييف ليرسلا كريستو الى صوفيا كي يعيش معهما ويواصل تعليمه .

وفي صوفيا بدأت حياة جديدة بالنسبة للغلام الخجول ، المتواضع ، المجتهد . وكان لعمه « بيبو » التأثير الاكبر عليه . ولكن سمير ننسكي ، ما عتم ان وجد نفسه في فترة ١٩٠٩ ـ ١٩١٠ مضطرا للعودة الى كوكوش ، فقد انهى عمه بيبو دراسة الحقوق وعين قاضيا في الاقاليم . اما جده فقد اصابه سرطان المعدة وسافر الى فينا للمداواة حيث مات بعد العملية .

واصل سمير ننسكي دراسته في قريته لفترة ١٩١٠ ـ ١٩١١ وبقي طوال شهور يتحدث عن حياة العاصمة البلغارية الجذابة ، وعن المدرسة ورفاقه ، عن الكتب والصحف ، عن الكتاب والفنانين وتحدث الى رفاقه عن ضجيج العاصمة ، وجمالاتها ، وعن الحافلات التي تتقدم دون خيل او فحم وعن البيوت المنارة بالمصابيح الكهربائية اذ يكفي ان يضغط المرء على زر في الحائط حتى يعم الضياء الغرفة كأنها في رابعة النهار .

انهى سمير ننسكي دراسته الاعدادية في فترة ١٩١٠ ـ ١٩١١ بدرجة « امتياز » فقام ديميتر ازميرلييف بخطى للحصول على منحة مجانية لولده فيرسله الى معهد سالونيك يواصل دراسته . ولكن طلبه رفض . وكان رسم التسجيل كبيرا على الاب صانع الحلوى مما اضطره ان يوقف تعليم ابنه ، بعض الوقت . وازداد توتر الوضع في البلقان وانتظر ديميتر ازميرلييف المتمرس في الشؤون السياسية انفجار الحرب بين تركيا والدول البلقانية الاخرى . وكان مقتنعا ان تركيا ستخسر ولم يكن يريد ان يرى ابنه بعيدا عن البيت .

كان كريستو يقسم اوقات فراغه بين اللعب والمطالعة والعمل . وبدأ في تلك الايام بكتابة رباعيات هزلية ، وارتجال بعض الابيات الساخرة حول مجريات الامور .

وفي ١٨ تشرين الاول عام ١٩١٢ اعلنت الحرب البلقانية . وكانت من حيث طبيعتها تقدمية ، فقد حررت الطبقات العاملة في البلدان البلقانية من الاحتلال التركي ، من النظام العثماني نصف الاقطاعي . وقد كتب لينين في ٢١ اكتوبر (٣ تشرين الثاني حسب التقويم الجديد) عام ١٩١٢ « ان العمال الواعين في البلدان البلقانية كانوا اول من اطلق شعار » من اجل حل ديمقراطي منسجم للقضية الوطنية في البلقان ، اي

« جمهورية بلقانية اتحادية » . « ان قضية البلقان الوطنية قد سارت خطوة كبيرة في طريق حلها ... ورغم ان الذي تحقق في البلقان هو اتحاد ممالك لا جمهوريات ورغم انه تحقق بواسطة الحرب لا بالثورة فقد تمت خطوة كبيرة لقلب آثار القرون الوسطى في اوربا الشرقية كافة » .

وفي ٢٥ اكتوبر (٧ تشرين الثاني) ، عام ١٩١٢ ، وهو تحرير كوكوش ، كتب لينين مقالته الثانية المكرسة للحرب ضد تركيا ، وقد جاء فيها :

« لو ان تحرير مقدونيا قد تحقق عن طريق الثورة ، اي عن طريق نضال الفلاحين الصرب والبلغار والاتراك ضد الاقطاعيين الكبار من جميع القوميات (وضد حكوماتهم في البلقان) لكان ، بلا ريب كلف الشعوب البلقانية عددا من الضحايا اقل بمئة مرة مما كلفتها الحرب الحالية . ان التحرير الذي كان يمكن ربحه بطريقة اسهل بما لا يقدر ، كان يمكن ان يغدو اكمل بما لا يوصف » .

بعد انتصار الدول البلقانية المتحالفة على تركيا . بدأت المكائد فيما بينها . واضرمتها الدول الامبريالية الغربية التي لم يكن من مصلحتها ان تنتهي الحرب البلقانية الى السلام . وقد ادت هذه المكائد الى حرب بين المتحالفين في عام ١٩١٣ وانجرت بلغاريا نتيجة لسياسة المغامرات التي يتسلح بها فراديناند دي كوبورغ ، عميل سياسة الغزو الالماني والنمساوي - الهنغاري في الشرق ، الى حرب ضد جيرانها ، واضطرت الى الاستسلام بعد ان احيط بها من جميع الجهات .

وعانت كوكوش من فظائع هذه الحرب . وخف مئتا متطوع للدفاع عن كوكوش . وتراكض الرجال والنساء والفتيان والاطفال نحو المواقع ليحملوا الى الجنود الغذاء والماء . وكان الجرحى يعودون الى المدينة . فيحمل الغلمان عنهم البنادق ويساعدونهم للوصول الى مراكز الاسعاف الاولى او ينقلونهم الى بيوتهم ، وكان كريستو سمير ننسكي في طليعة هؤلاء الفتيان . وفي اثناء هذه التحركات قتل احد رفاق سمير ننسكي الصغار على بضع خطوات منه . وترك ذلك في نفسه الحساسة آثارا لا تمحى بالاضافة الى المعارك والجرحى ودوي المدافع وازيز الرصاص والصفوف اللامتناهية من المهاجرين الذين يغادرون قراهم تحت تهديد الجنود والمدفعية اليونانيين .

وفي الرابع من تموز عام ١٩١٣ اخذت الفرق البلغارية بالانسحاب ، لفقد الذخائر وخوفا من ان يحاط بها . وبعد ظهر نفس اليوم احتلت الجيوش اليونانية كوكوش . وابيحت المدينة وذبح الكاثوليك الذين كانوا يعتمدون على حماية الحكومة الفرنسية ، والعجز الذين لم يغادروا المدينة ، واحرقت المدينة باسرها .

وكانت عائلة ديميتر ازميرلييف بين صفوف المهاجرين ، ومن قمة جبل « كروشا » كانوا يستطيعون ان يشاهدوا سهل كوكوش مشتعلا بالحرائق . وكان سمير ننسكي يمسك اخاه الصغير انطون ، وعمره اذ ذاك ٩ سنوات . فأشار سمير ننسكي الى الحرائق وقال « انظر يا توني ان ماتشاهده يحترق هناك هو كوكوش . » ثم قال لنفسه : « وداعا ، كوكوش .

كان سمير ننسكي لا يزال فتى ولم تتحدد مفاهيمه الاجتماعية والفنية بعد ولكنه احس بنفسه جزءا من هذه الجماهير الجبارة ، ووعى قوتها وضعفها .

توقف المهاجرون في مدينة غورنا جومايا (بلاغويف غراد حاليا) ، ووجدت عائلة ازميرلييف ملجأ في مدرسة ، ولكن ما عتم ان ظهر وباء الكوليرا فتابعت طريقها الى صوفيا حيث يقطن اقارب اعزاء ولكن في الثالث من تموز عام ١٩١٣ سقط فلاديمير بوب أتاناسوف في معركة قرب لاغادينا غير بعيد من كوكوش . وهكذا فقدت عائلة ازميرلييف بموت بيبو سنوها الاكبر ماديا وروحيا . وفقد كريستو وتوما من كان لهما بمثابة اول استاذ في الشعر . وحرم الادب البلغاري من احد ممثليه الموهوبين الطليعيين . وخسرت الاوساط التقدمية البلغارية احد مناضليها المتواضعين المخلصين .

الشاعر الفتى في صوفيا

وصلت اسرة ديميتر ازميرلييف الى صوفيا في ١٤ تموز عام ١٩١٣ . واستقر المهاجرون في المدارس . وساءت حالتهم المادية . فحلويات ديميتر لا تباع جيدا ، ويضطر كريستو الى بيع الصحف من جديد . ومع ذلك فقد كان يجد لديه الوقت ليصبح في عداد المتفوقين بالمدرسة التكنيكية .

واجتذب الادب اخاه ، وسار كريستو على آثار هذا الاخ ونشر كراسا عام ١٩١٥ استقبله القراء باهتمام .

وفي ١٣ تشرين الاول من العام نفسه . جر فرديناند دي كوبورغ ، دون رأي الجمعية العمومية ، بلغاريا الى الحرب في جانب الامبرياليين الالمان . ودعمت جميع الاحزاب البورجوازية والبورجوازية الصغرى المعارضة فرديناند دي كوبوغ وحكومته في مغامرتهما الدامية .

وكان حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي هو الوحيد الذي واصل النضال ضد سياسة المغامرات العدوانية التي تجر الدمار والخراب على الشعب ، والتي انتهجها فرديناند وعملاؤه الرأسماليون البورجوازيون الطيعون . واستفاد المقربون من الاوساط الحكومية ومن

البلاط فامنوا لانفسهم مراكز جيدة في مؤخرة الجيش حيث كانوا ينهبون مستودعات وصناديق الدولة ويجمعون الثروات بسرعة ٠ وكانت هناك لجان رسمية تجوب الارياف وتنهب الفلاحين الفقراء والمتوسطين ٠ وكانت المواد الاولية تباع في السوق السوداء باسعار مرتفعة جدا ٠ وكان النقد يفقد من قيمته باستمرار ، بينما تصعد الاسعار على التوالي ٠ وكانت الجماهير الكادحة في المؤخرة محرومة من جميع الحقوق ، تعيش حياة السائمة، بينما يموت اقاربهم في الجبهة من اجل مصالح الرأسماليين والامبرياليين الالمان ٠

وفي كل يوم كانت صفوف لا تنتهي من النساء والشيوخ والاطفال البؤساء ينتظرون ساعات طويلة امام البقالات والمخابز في سبيل قطعة من الجبن العفن وقليل من السكر او حفنة من الارز ورغيف من الخبز ، وكان التجار فوق كل ذلك يسرقونهم دون شفقة ولا خجل ٠ وكان سميرننسكي يتأمل هذا الوضع المرهق الذي يثقل الجماهير الكادحة ، وانطبعت في مخيلته هذه الصور البائسة ٠ ووجدت منطلقا لها في اشعاره ، وكان قد قبل في عداد محرري جريدة « بالغاران » الهزلية ذات الشهرة الواسعة العريقة ، وكان ذلك بمثابة حدث عظيم في تطور هذا الفتى الشاعر الموهوب ٠

ولكن قبل ربيع عام ١٩١٦ ، كان هؤلاء الذين يهبون حياتهم ويتألمون في الجبهة وكذلك هؤلاء الذين يفكرون بهم ويموتون جوعا في المؤخرة ، قد ملوا هذه الحرب التي لا آخر لها ٠ واخذت الجماهير تتجه اكثر فاكثر نحو اليسار ، ووجدت دعاية حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي البلغاري مرتعا خصبا بين محاربي الجبهة وكذلك في المؤخرة ٠ وحدث تمرد وعصيان في صفوف الجنود ، وجر ذلك احكاما عديدة بالاعدام ٠

ووجد سميرننسكي ان مساهمته في الصحف والمجلات لا تكفي لايصال صوته فقرر اصدار مجلته الخاصة ، وكان ان توصل هو وبعض زملائه الشباب الى جمع قليل من المال هبة من انصار الادب والفن وهيأوا الورق وفاوضوا المطبعة وظهر العدد الاول من ثماني صفحات في كانون الثاني عام ١٩١٧ ٠

وفي العدد الثالث الصادر في ١٤ كانون الثاني من عام ١٩١٧ ظهر لاول مرة لقبه كريستو سميرننسكي تحت احدى قصائده ٠

وخلال محادثته مع المحررين حول هذا اللقب ، في اللحظة التي لم يكن احد من الناس يشكر بانه سوف يصبح احد الاسماء الشهيرة في الادب البلغاري قال سميرننسكي ان هذه هي الترجمة اليونانية لاسم عائلته ، « ذلك ان زميرلييف مشتقة من ازمير ، الاسم التركي لمدينة سميرن في آسيا الوسطى ٠ وربما كانت عائلتي على اتصال مع تجار تلك المدينة ، الشيء الذي يفسر اسمي » ٠

كان سميرننسكي حتى هذا التاريخ لا يحمل افكارا واضحة ضد الامبرياليين وضد الحرب ، ولكنه كان يتابع باهتمام احداث البلدان ، وخاصة الدول الكبرى التي كانت تخوض الحرب ٠ وكانت ثورة شباط الروسية بالنسبة له ينبوع الهام ، وكرس لها قصائد ومقالات ٠ ولكنه ، مثل كثير آخرين لم يستطع ان يفهم طبيعة واهداف هذه الثورة ٠

ولم يكن والده وامه ينظران الى مشاغله الادبية بعين استياء ٠ فقد كان يقرأ لهما ، وكذلك لاخوته واخواته ، مواضيعه الجديدة ، متابعا التأثرات التي تظهر عليهم ٠

لقد استطاع سميرننسكي ان يتحمل ارهاق عمله المضني في هذا العام بفضل صحته وتركيبه الصلب ٠ كان ربعة ، قويا ، عريض الصدر ، ولم يمرض طوال سنوات ما عدا بعض الزكام والنزلات الوافدة وكان يعتبر اصلب افراد العائلة ٠ وكانت مشيته ثابتة ، حازمة ٠ وكانت الزابيث ازميرلييف تقول ان له مشية خاله فلادو ٠

في ذلك الوقت تعقد الوضع في الجبهة خاصة في مقدونيا الجنوبية حيث كان قائد الحلفاء يمركز اهم قواته ٠ وكان الوضع في المانيا لا يبشر بخير ٠ وكان تفوق قوات الحلفاء الساحق يظهر بقوة في فرنسا ٠ وكانت روسيا في غليان ثوري ، ولكن الاوساط الواسعة في العالم اجمع وفي بلغاريا لم تكن تعرف بعد كل قوة الحزب البلشفي وعظمة نضاله ضد قوى الظلام والرجعية في روسيا الملكية ، ودوره القائد في تحضير وقيادة الثورة التاريخية ـ التي اعلنت في السابع من تشرين الثاني عام ١٩١٧ ـ الى غايتها الطيبة التي رسمت الطريق التي على الانسانية التقدمية جمعاء ان تنتهجها في المستقبل ٠

ولم يكن سميرننسكي قد فهم ايضا كم هو متهرىء هذا النظام الرأسمالي البورجوازي وآلته الحربية ٠

واقترب موعد عودته الى الخدمة الاجبارية ٠

في اللباس العسكري

كان على سميرننسكي ان يختار بين ان يذهب الى الجبهة كجندي عادي بعد بضعة اشهر من الخدمة العسكرية ، او ان يتسجل في المدرسة الحربية للطلاب ٠ وآثر اهله ان يدخل المدرسة حيث جميع الشروط

افضل . وكانت الدراسة فيها عامين ، وكان جميع الناس مع ذلك واثقين من ان الحرب لن تمتد الى ذاك العهد .

قدم سميرننسكي وثائقه وفي مطلع ايار ١٩١٧ ارتدى لباس المدرسة حيث صادف كتابا ناشئين مثله فألفوا حلقة ادبية من الموهوبين الشباب وكان كريستو سميرننسكي ابرزهم .

وكان في المدرسة الحربية ايضا ممثلون ورسامون وموسيقيون شباب ، وهكذا الف سميرننسكي بصورة طبيعية مجموعة من الهواة الموهوبين واخذوا ينظمون سهرات وتمثيليات هزلية يسخرون فيها من الرؤساء الكبار والصغار وكان مؤلفها يبقى في اغلب الاحيان مجهولا .

وكانت الحياة في المدرسة قاسية جدا وكان موقف الرؤساء من الطلاب موقفا متعاليا ، باردا .

ورغم ان البرنامج كان مثقلا من الوجهة النظرية والعملية فقد واصل سميرننسكي الكتابة والمساهمة في مختلف الصحف والمجلات الهزلية وغيرها .

واثناء ذلك اجتاح وباء الحصبة المدينة والبلاد ، والمدرسة ايضا ففرض مدير الصحة العامة عند ذاك على المدرسة حصارا قاسيا جدا ، ومنع الطلاب والمرشحون من الخروج بل من رؤية ما يجري في الخارج ايضا . ومع ذلك فقد كان بامكانهم ان يمضوا للقيام بتمارينهم خارج المدينة في صفوف مرتبة . ومضى على ذلك شهر ، ثم شهران ، وزال الوباء ومع ذلك لم يفك الحصار عن المدرسة ، بل بقي على شدته . فأخذ الطلاب بالاحتجاج ، كان الحصار يحرم عليهم ان يستلموا مؤونة من اهلهم ، وكان الطعام الذي تقدمه لهم المدرسة تافها ، ضئيل التغذية لا يفي بالحاجة .

كان الطلاب لا يأكلون ابدا عند الجوع ، وكانوا ينحلون ويقعون مرضى . ومع ذلك فقد كانت الدروس مضنية ، تتطلب جهودا كبيرة . وكان سميرننسكي يرغب كثيرا بزيارة اهله واقاربه واصدقائه ورفاقه ، وكان قد نظم وسيلة يتلقى عن طريقها الاخبار ويرسل مخطوطات ، ولكنها كانت مع ذلك وسيلة محفوفة بالمخاطر متروكة للاقدار .

لماذا « نسي » الرؤساء ان يرفعوا الحصار ؟ هل كان مرد هذا النسيان الى اصرار مدير الصحة العامة ؟ ان الوباء لم يكن الا سترا ارادت القيادة بواسطته ان تحول دون كل علاقة بين الطلاب وبين الخارج . فالحالة في الجبهات غير طيبة ، وعدد الفارين من الجندية يزداد بلا انقطاع ، والثورات التي سببتها المجاعة تندلع في المؤخرة . وكانت الثورة في روسيا قد بلغت ذروتها . وكانوا في المدرسة الحربية ، رغم عزلتها يهتمون اهتماما شديدا كما في كل مكان ، بثورة اكتوبر . كان اغلب الطلاب ابناء الشعب العامل ، وكان كثير منهم تحركهم مشاعر ثورية غامضة اخذت تتوضح بتأثير ثورة اكتوبر العظمى وكان رؤساء المدرسة يخشون اتصال الشباب بالجو الخارجي حيث يعلق الناس على انتصار الثورة بحرارة عظيمة ، وكانت الثورة تحيي قلوب الكثيرين آمالا اصيلة بسلام قريب وتبدلات اعمق .

وفي شهر آب ، نشر سميرننسكي قصيدته « اغنية الشيطان » وهي موجهة ضد حكومة كيرينسكي الموقتة . وفي مطلع القصيدة الاول الذي هو على جانب كبير من الاهمية يصف كيرينسكي بانه « الدكتاتور الجبار » و « العميل الاستفزازي » ولكن اسم الحزب البلشفي ولينين لا يرد في اشعار الفتى ذلك لانه لم يكن قد اتخذ موقفا واضح المعالم من الثورة الروسية .

استقبل حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري ثورة اكتوبر بفرحة وحماسة ، واخذ يشير خطابة وكتابة ، الى اهميتها التاريخية العالمية . وبعد ثلاثة ايام من استيلاء الحزب البلشفي بقيادة لينين على الحكم كتبت جريدة « رابوتني تشيسكي فيستنك » لسان حال حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري : « ان الثورة الروسية ، منذ السابع من تشرين الثاني قد انتقلت الى ايد قوية امينة . ومنذ هذه اللحظة تتوجه جمهورية روسيا العظيمة على طريق جديدة مخططة بوضوح : طريق السلام وتحرير الشعوب من العذابات الرهيبة التي تعرضوا لها منذ ثلاث سنوات . ان البروليتاريا الثورية الروسية التي تقدم منذ عشرات السنين ضحايا لا تحصى في النضال البطولي من اجل التحرر ، اذ تسرع بانهاء الحرب المدمرة الفظيعة ،ستكون لها المزية التاريخية التي لا تنسى في انقاذ الانسانية من الفناء . اننا نحيي بحرارة البروليتاريا الروسية الملأى بنكران الذات ، والتي تحمل السلام والحرية والاخوة للشعوب » .

بهذه الروحية بدأ حزب ديميتر بلاغويف وجورج ديمتروف في الدعاية الحماسية لثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى . واستقبلت الجماهير الكادحة ، والجنود هذه الدعاية باعظم الوان الحماسة . وكانت هذه الدعاية – على وجه التدقيق هي التي يخشاها رؤساء المدرسة الحربية عندما عزلوا الطلاب ولكن احدا من هؤلاء لم يكن يرتاب في الاسباب الحقيقية « للحصار » بعد ان زال كل اثر للوباء .

كانت افكار ثورة اكتوبر العظمى ، التي يدعو لها حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري تجتذب اليها الجماهير الشعبية والجنود أكثر فأكثر ٠ والتفع توزيع جريدة « رابوتني تشيسكي فيستنك » ، رغم الاضطهادات التي كان يتعرض لها قراؤها وموزعوها من ٥ آلاف الى ٣٠ الف نسخة ٠ وفي نهاية عام ١٩١٧ دعت قيادة حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري الى اجتماع كبير ، ضد الحرب ، حضره زهاء ١٠ آلاف نسمة ، الشيء الذي لم تكن بلغاريا قد شهدته من قبل٠ وقد صوت العمال البلغاريون الذين حضروا الاجتماع على توجيه التحية الحماسية الى العمال الثوريين الروس وعلى اعلان انفسهم متضامنين مع افكار ثورة اكتوبر ٠

لقد تغلغت المشاعر المعادية للحرب بين صفوف طلاب المدرسة الحربية رغم « الحصار » المضروب حولها ، وكانت هذه المشاعر تنعكس في بعض اعمال سميرننسكي دون ان يكون موقفه قد اتضح وتحدد حيال ثورة اكتوبر ، شأنه في ذلك شأن عدد كبير من رفاقه الذين اصبحوا فيما بعد اعضاء عاملين في الحزب الشيوعي البلغاري (اشتراكيو اليسار) والذين سقط بعضهم في النضال ضد الدكتاتورية الفاشستية ٠

لقد خشيت ادارة المدرسة الحربية روحية التمرد في الطلاب ، واقلقتها نجاحات ثورة اكتوبر وانتشار افكارها العظيمة بين طبقات الجنود والعمال ، فبثت الجواسيس بين صفوف الشباب ، معتمدة في ذلك على ابناء الاغنياء ٠

كان الارهاب الذي تمارسه الحكومة يشتد ، وخضعت الصحف والمجلات لرقابة وحشية ٠ وصدر اكثر من الف حكم بالاعدام ٠ والقي عدد كبير من زعماء حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري وعلى رأسهم جورج ديميتروف في السجون ٠ ولكن نشاط الحزب كان يقوى اكثر فاكثر ، وطبع ووزع بطرق سرية منشورات قدم فيها تفسيرا صحيحا لافكار واهداف ثورة اكتوبر العظمى ▪

وفي نهاية عام ١٩١٧ ومطلع عام ١٩١٨ ، اعدت مطبعة « غوتبرغ » وبدأت تنشر منتخبات انتقادية هزلية للكتاب البلغار الشباب ، ومن بينهم كريستو سميرننسكي الذي كان اكثرهم شهرة وموهبة ٠ فصدر له كتاب « تأوهات مختلفة ، شعر اونثرا » وظهر في صفحات الكتاب الاربع والستين موقف سمير ننسكي حيال الاعمال الدنيئة التي يقوم بها المضاربون والتجار الذين يجمعون الثروات على حساب الشعب الجائع الذي يهرق دمه على ساحات القتال ▪

هذه الارواح الثمينة التي ضحي بها في الجبهة ، وهذه التعاسة التي تجثم على الطبقات الكادحة في المدن والقرى ، ما كان لها الا ان تفعل في نفس سميرننسكي ، الذي اخذ يعالج مواضيع اجتماعية شائكة مثل جرائم السارقين الذين يجمعون الملايين من الاشلاء والدم المهراق من مئات الوف الجنود الذين سقطوا في الجبهة صرعى او جرحى ٠ وكان استياء العمال المتزايد من سياسة المغامرات التي انتهجتها حكومة الاحرار وفرديناند دي كونبورغ ، قيصر بلغاريا ، يحمل سميرننسكي ، اكثر فاكثر على ان يعالج القضايا الاجتماعية والسياسة ٠ واخذ تمرد الجنود والفرار من الجيش يأخذان شكلا مقلقا ٠

فجوة في الجبهة

سميرننسكي يغادر المدرسة الحربية

في ايلول من عام ١٩١٨ حدثت فجوة في جبهة مقدونيا ، وتوجه الجنود المتمردون الى صوفيا ٠

واعلنت الجمهورية في « رادومير » وكانت جماهير الجنود مستعدة للمعركة ضد الملكية القوية وضد انصار الحرب ، ولكن كانت تنقصها القيادة ٠ ولم يكن حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري الذي يمارس نفوذا واسعا في اوساط جماهير الجنود ، ذا مفهوم لينيني لخصائص سير الثورة في مختلف البلدان ، وللعلاقة الحيوية بين النضال من اجل الديمقراطية والنضال من اجل بناء الاشتراكية ٠ وكان زعماء الحزب بما فيهم مناضلو اقصى اليسار يعتبرون ان شعار « جمهورية شعبية » لم يكن شعارا اشتراكيا ولا يمكن ان يطلقه حزب ماركسي ٠ الشيء الذي ادى الى بقاء الجيش مهملا ، مهجورا ، دون قيادة جدية ، دون قادة باسلين ، مجربين ، كما كان يمكن ان يكون مناضلو حزب العمال الاشتراكي – الديمقراطي البلغاري ٠ وبسبب من ذلك كان الجنود من الجبهة حتى ابواب العاصمة ، يقدمون في فوضى كبيرة ، مستعدين لان ينتقموا من جميع هؤلاء الذين يعتبرونهم مسؤولين عن الالام التي عاناها الشعب طوال ثلاث سنوات ٠

ونشبت معارك ضروس قرب صوفيا ٠ وثار سميرننسكي لوحشية الجيوش الملكية ٠ وبعد ذلك ببضعة اشهر نشر قصة « العينان » التي ضمنها كل استنكاره واشمئزازه بقوة وموهبة أخاذين ٠

وفي احدى ليالي ايلول الجميلة ، كان فتيان يقومان بنوبة الحراسة ، محاطين بجثث جنود الجيش الذي يغادر الجبهة ٠ وتوقف الرفيقان امام احد المعفرين بالثرى

ووجهه الى الارض ودفعهما الفضول الى معرفة من يكون ٠ ويروي الكاتب ذلك فيقول : « قلبنا الجثة على ظهرها وشاهدنا الوجه ٠ كم من الاشياء كانت تقرأ في تعبير هذا الوجه الفتي الشاحب ، وعيناه ٠٠٠ كلا لم تكونا عيني ميت ٠ كانتا عينين تتكلمان ، تسألان ، تبكيان ، تستمطران اللعنات ، » ٠ « كانت الف كلمة مجتمعة فيهما ، كلا ، بل الف عذاب ، سؤال ، حلم ، اسف مرير ٠٠٠ » « كانتا تتحدثان عن ايام الشبيبة ، عن البيت العائلي ، عن عيني فتاة بشوشة ، مليئين بشعلة الصبا ، عن اخوة صغار بريئين عن اب ، عن ام ٠٠٠ » « كانتا تتحدثان عن الامال التي تتحقق عن المصالح عن المطامح المنطفئة ، عن السعادة المضاعة ٠٠٠ » ٠

« لقد سألتنا : من هو بحاجة الى شبابي ، الى قوتي ٠ أيستطيع احد ان يرد الي ، ولو يوما ، ساعة ، لحظة ، ما لم اشته ابدا ان افقده ؟ ايستطيع ذلك احد ؟ ملعونة الحرب ، باعثة الموت ، ملعون الشيطان الذي علم الانسان قتل اخيه ـ ملعونة الساعة التي صقلت فيها يد الانسان سيفا قاتلا بدل محراث ٠٠٠ » ٠

« كلا لم تكونا عيني ميت ، كانتا حدين فولاذيين مسقيين بالسم ، ينفذان الى القلب ويشلان الفكر ٠ كانت نظرتهما انعكاس بعض العناصر المتجمدة ، تحركه اللعنات ، والاسئلة المهجهجة ، والاشمئزاز المتواصل ، والرعب ٠٠٠ » ٠

في هذه الرواية يكتبها فتى في العشرين من عمره ، تحيا ، بصورة مركزة ، اشياء عاشها وهي ترسم منعطفا حاسما في سيرته الاجتماعية ٠ في تطور مفاهيمه الايديولوجية والسياسية وفي جميع نشاطه الخلاق ٠ ومن البديهي ان تكون عوامل وظروف كثيرة قد ساهمت بنصيب كبير في تطوير سميرننسكي وانضاجه بسرعة ، وفي جعله اكثر شعراء الحزب الشيوعي البلغاري الهاما في عصر نهضته العظيمة اي في الايام التي تلت الحرب العالمية الاولى ٠

ان طلاب المدرسة الحربية الذين كانوا ابناء الشعب العامل ، وكانوا شهود احداث « فلادايا » قد ادركوا كل شيء عندما عادوا الى وراء جدران المدرسة الحربية السميكة العالية ٠ ادركوا انهم ارسلوا لمقاتلة آبائهم واخوتهم ، من اجل انقاذ عائلة «كوبوغ» المجرمة ، من اجل الدفاع عن الثروات التي جمعها الرأسماليون طوال سنوات على حساب دم‌مئات الوف الموتى والجرحى ٠

وعندما لم تعد بلغاريا المغلوبة بحاجة الى هذا العدد من الضباط وكان عليها ان تضيق ملاكاتها خير الطلاب بين البقاء وبين مغادرة المدرسة ٠ وكان كريستو سميرننسكي بين الذين عبروا عن هذه الرغبة الاخيرة ٠

نهج ايديولوجي واضح

كان الشاعر الشاب الذي لم يتجاوز العشرين يستقبل حياة جديدة ٠ فالتضحيات والآلام والمتاعب التي عاناها الشعب لم تذهب سدى ٠ ونضج العمال البسطاء سياسيا واثبتت ثورة اكتوبر الاشتراكية العظمى ان افكار الاشتراكية ليست اساطير مجردة من المعنى ، وليست احلاما ٠

كان حزب العمال الاشتراكي ـ الديمقراطي البلغاري يربح اعضاء ومجندين بشكل متواصل ٠ ووقف سميرننسكي بحزم في جانب القوى التقدمية التي يقودها هذا الحزب واخذ يختلف الى انديته ويحضر اجتماعاته ، وتظاهراته المنظمة ، ويهتم بالصحافة الشيوعية ووضع الاتحاد السوفياتي حيث كان الحكم الفتي للعمال والفلاحين يسحق طغمة اعداء الثورة في داخل البلاد ، وقوى المتدخلين ٠ واثر عليه بشكل خاص ، جاره في الحي ، جورج ديميتروف ، حبيب الجماهير الشعبية في بلغاريا ، والخطيب الملهم والشجاع المدهش ، والعامل الذي لاتنفذ طاقته الحيوية ٠

كان سميرننسكي يرى هذا القائد العمالي العظيم في اجتماعات حزب العمال الاشتراكي الديمقراطي البلغاري ، ويسمع خطاباته النارية وازدادت نقمة الشعب على حكومته الرجعية ، وقاد جورج ديميتروف بنفسه حملة عمال مناجم بيرنيك ضد استغلال الحكومة ٠ واوقف جورج ديميتروف وارسل الى صوفيا ، فانتشر الخبر بسرعة البرق ، وثار عمال صوفيا وتوجهوا في مظاهرة كبرى لاستقباله في المحطة ٠

كان سميرننسكي بين الاول الذين اخذوا طريقهم الى المحطة ٠ كان المواطنون ينتظرون القطار الذي يحمل ديميتروف ، وهم بادو القلق والغضب ، وما ان بدا حتى اهتزت المحطة والشوارع بالهتافات : « حرروا جورج ديميتروف » ٠

وسار سميرننسكي مسحورا مع الجماهير الى مديرية البوليس حيث حملوا السجين ٠ ولم يسعهم الا اطلاق سراح جورج ديميتروف ، الذي توجه الى نادي الحزب حيث تكلم امام حشد من الناس ٠ كان سميرننسكي في عداد هذا الحشد واصغى الى كلمات القائد البروليتاري الملتهبة وانطبعت في وجدانه هذه الخطوط الباسلة المعتزة التي انعكست فيما بعد على صورة كارل ليبكيخت وجوهان وديليسكلوز ٠

كان سمير ننسكي قد تسجل ، اثر مغادرته المدرسة الحربية ، في كلية الحقوق بجامعة صوفيا ٠ واخذ يهتم اكثر فاكثر بالحملات التي يقوم بها الحزب ٠ وفي شهر ايار عام ١٩١٩ انعقد في صوفيا المؤتمر الثاني والعشرون لحزب العمال الاشتراكي الديمقراطي ، وبناء على قرار اجماعي من جميع المندوبين اتخذ هذا الحزب اسما جديدا هو « الحزب الشيوعي البلغاري » ووقفت في وجهه جميع الاحزاب ، البورجوازية والبورجوازية الصغرى ٠ وفي ايار عام ١٩١٩ اصبح كراستو باستوخوف زعيم الاشتراكيين اليمينيين وزيرا للداخلية ٠ فهاجمه سمير ننسكي بمقالات لاذعة ، واشعار نقدية ٠

كان اول عمل لهذا الوزير الذي سيطر على جهاز البوليس هو ملاحقة مناضلي الحزب الشيوعي البلغاري ومحبذيه بعنف فاق جميع ما قامت به الحكومات البورجوازية ٠ وفي صيف عام ١٩١٩ وقف الحزب الشيوعي البلغاري على رأس حركة الاحتجاجات القوية التي قامت بها الجماهير العاملة ضد السياسة الاستغلالية اللاوطنية التي كانت تنتهجها حكومة تضم ثلاثة وزراء من الاشتراكيين اليمينيين ٠ وقد جند باستوخوف جميع القوى البوليسية واستعان بالجيش ووضع على الطرق والمفترقات رشاشات موجهة ضد المتظاهرين المسالمين من العمال ٠ وفي عدة مدن وقرى قتل البوليس وجرح كثيرا من المواطنين المسالمين ٠

ولكن الحملة التي جرت اكبر قسط من العار على حملات الوزير كانت تلك التي قام بها ضد الذين لاملجأ لهم ٠ فقد دعم الحزب الشيوعي مراكزه بين هؤلاء الاخيرين ، فما كان من وزير الداخلية الا ان ارسل الاطفائية لهدم البيوت الصغيرة التي كان هؤلاء البؤساء قد بنوها لعلائلاتهم ، وعندما اجتمعوا في « الحديقة البطولية » للاحتجاج اطلق عليهم الوزير المحنق بوليسه ٠ وشهد سمير ننسكي هذا الاصطدام وصرع بالقرب منه ثلاثة مواطنين بينهم جاره كيرو كوفاتشيف وهو عامل شيوعي معروف في الحي ٠ وقد سحب البوليس الجثث وحاول دفنها سرا ، ولكن مناضلي الحزب استردوا الجثث وهرع جميع عمال صوفيا لتشييعهم ٠ ولكن باستوخوف منعهم من ذلك وارسل افواجا من البوليس لتفريق الجماهير ٠ ولكن مئات من المواطنين والمواطنات اعادوا تنظيم صفوفهم وصدوا هجمال الدرك الخيالة ٠ وكان جورج ديميتروف على رأس المتظاهرين والى جانبه الكومسومول فالكوتشيرفنكوف ، وغير بعيد منهما كريستو سمير ننسكي ٠

وتوالت الاضرابات خلال العام الاول لما بعد الحرب ٠ واكتسب العمال وعيا سياسيا واضحا بقيادة الحزب الشيوعي البلغاري واخذوا يناضلون من اجل حياة افضل ٠ وكانت البورجوازية البلغارية تصنع من البلاد قاعدة عدوان مسلحة ضد الاتحاد السوفياتي ٠ وكانت نضالات العمال واضراباتهم تزعج هذه الاهداف العدوانية ٠ وقام اضراب شامل بقيادة الحزب الشيوعي البلغاري وعلى رأسه جورج ديميتروف شل جميع وسائط النقل ٠

وفي تشرين الثاني عام ١٩١٩ ظهرت في صوفيا المجلة الهزلية « تشيرفين سمياخ » من منشورات الحزب الشيوعي ٠ وكان العدد الاول منها يضم قصيدة سمير ننسكي النقدية « ميزان الاخلاق » ٠ وقد اثر احتكاكه بمحرري المجلة تأثيرا كبيرا على تكوينه الايديولوجي ، فتحرر من رواسب فردية المثقفين وفهم ضرورة النظام الحديدي الذي يسيطر ، عن طيبة خاطر وطواعية ، بين صفوف الحزب والشبيبة الشيوعية البلغارية (الكومسومول) ٠ واخذت تتلى اشعار سمير ننسكي في اجتماعات الحزب والكومسومول ، وهكذا كان سمير ننسكي مع كل يوم جديد يغدو شاعر الطبقة العاملة ، والمغني الملهم للنضال البطولي الذي يطلع به الحزب الشيوعي ٠ ووجد نفسه هكذا بصورة طبيعية ، عفوية ، يقوم مع الشبيبة الشيوعية بحملة دعاية في حيه وفي مدينته ٠

واهتم سمير ننسكي بالادب الماركسي ، واصغى الى التقارير في اندية الحزب ، وشهد المناقشات بين الشيوعيين والانتهازيين وقرأ بلفهة مؤلفات الكلاسيكيين الروس ، واصبح غوركي وتشيخوف كاتبيه المفضلين واثرت عليه صورة « الام » وباول فلاسوف ورفاقه الاشتراكيين ، وكان يهتف : « ما أروع تشيخوف من كاتب » ويتحدث كثيرا عن عبقرية غوغول ٠ ويعيد قراءة « الجثة الحية » و« قوة الكلمات » ، ويفضل موباسان بين جميع كلاسيكيي الادب الغربي ٠

وعندما توقف اضراب عمال النقل بفعل الارهاب الفظيع الذي مارسته حكومة ستامبولسكي التجمعية تصور سادة الرجعية المشؤومون ان الحزب الشيوعي البلغاري قد تلقى ضربة قاضية ٠ واستنتج ستامبوليسكي ان وقت اجراء انتخابات جديدة قد آن ٠٠٠ ولكن النضال البطولي الذي قام به مستخدمو وعمال النقل من اجل حياة افضل ، ودعمتهم فيه بقوة طبقات البلاد العاملة عززت نفوذ الحزب الشيوعي الذي كان يقود هذه الاضرابات الضخمة ٠



للاستعلامات وحجز التذاكر خابروا:

دمشق
شركة الشرق السريع «اورينت اكسبريس»
شارع الفردوس: هاتف ١٩٨٤٦
منية بردى: هاتف ٢٤٩٩٣

حلب
شركة سفريات ارسان
شارع بارون
هاتف: ١١١٥٤

والمكاتب المعتمدة لدى «الياتا»

الفتى الكومسومول

في ربيع عام ١٩٢٠ ، وكانت المعركة التمهيدية للانتخابات في ابانها ، قرر سميرننسكي ان يصبح عضوا في الكومسومول ٠ وكان اخوه دونتشو قد سبقه الى الانتساب ٠ وفي احد الايام رغب اليه سميرننسكي في ان يجلب له ورقة انتساب ٠ وبعد مدة قليلة قبل الشاعر الفتى في المنظمة التي اصبح من هذه اللحظة احد اعضائها المندفعين المنظمين ٠

وساهم سميرننسكي مساهمة فعالة في التحضير للانتخابات ٠ وقام بجميع المهمات التي كلف بها ما املاه عليه وجدانه الحزبي ٠ ونال الحزب الشيوعي البلغاري ٥٠ بالمئة اكثر مما ناله في الانتخابات التشريعية السابقة وفي ١٥ نيسان عام ١٩٢٠ الف ستامبوليسكي حكومة مستقلة من الحزب الزراعي اخذت بالسياسة الظالمة المعادية للشيوعيين وللعمال ، هذه السياسة التي وقف عليها سميرننسكي عدة قصائد ساخرة وكراسات وصور من واقع الاحداث ٠

وفي مطلع ايار عام ١٩٢٠ نشرت جريدة « تشيرفين سمياخ » قصيدة سميرننسكي الرائعة « اول ايار » ولم يكن احد حتى هذه اللحظة قد كتب ابياتا بهذه الحماسة ، وبهذه المعاني ٠ كانت نداء حقيقيا بمناسبة عيد العمل والتضامن العمالي الدولي ٠ وقد عبر بشكل اخاذ في المقطع الاول عن نضالات الماركسيين المتواصلة منذ عشرات السنين ، وصفة المطالبة الثورية ، صفة الاحزاب في العيد العمالي ، ثم يرسم الشاعر بعد ذلك في ابيات طلية رشيقة ، موسيقية ـ لوحة النضال الطبقي في الزمن الذي سينهار فيه « الهيكل الدامي » (النظام الرأسمالي) من اجل ان يستطيع اهل العمل « بين الجثث والمتاريس » ان يشيدوا « الجنة الارضية المنتظرة بشوق » ، موقعين لحنا فخما على شرف اول ايار ٠

كان الوف من خطباء وكتاب الحزب الشيوعي البلغاري ، والكومسومول يلقون ابياته النضالية في اندية الحزب ، وفي السهرات ، والاصباح ، في المعامل والتجمعات الريفية ، في المعاهد وفي الجامعة واصبح سميرننسكي الشاعر الثوري الشهير ، الشاعر البروليتاري المحبوب ، دون ان يفقد شيئا من تواضعه وبساطته ٠ كان يؤدي بسرور واجباته كعضو في الحزب وفي الكومسومول ٠ وكان كثيرا ما يتحدث مع رفاقه في الحي عن توزيع « رابوتني تشيسكي فيستنك » ويسجل مشتركين جددا ٠ شارك سميرننسكي في حياة الحزب ونضاله ، فوعى معنى الحياة الحقيقي ، وانفتح امام الهامه الشاعري مجال رحب الغنى ٠ ولم يلمه أهله مرة واحدة لكونه لم يختر مهنة اصلح ٠٠ ولم يحاولوا مطلقا ان يصرفوه عن الاعمال الادبية بحجة « ان التعليم لا يطعم انسانا » بل بالعكس كانت امه وابوه يشجعانه على الكتابة ولكن امه كانت هي التي تحيطه بعنايتها واهتمامها خصة ، فهي ترتب طاولة عمله وكتبه ، في الشقة الصغيرة التي تقطنها العائلة الكبيرة ٠ كانت هذه المرأة النشيطة ، الحاسة بكل الاحداث الداخلية والخارجية مستعدة دوما للمشاركة في جميع الحملات التي تجري في حيها البروليتاري ، ولم تتخل ابدا عن ابنائها في عملهم الصعب ، ولم تنصحهم مطلقا بالاستسلام لمظالم النظام البورجوازي ، كانت تقاسم افكارهم وتؤمن بحق الانسان والمواطن ، وقد تصرفت ببطولة في عام ١٩١٣ عندما احترقت المدينة والمنزل الذي وضعت فيه وانشأت اربعة اطفال ٠ وما ان وصلت صوفيا ، هاربة باطفالها ، حتى وافاها نبأ مصرع اخيها فلاديمير في الجبهة ٠ كان المصاب ذا وقع جلل عليها ، ولكنها لم تفقد شجاعتها بل فكرت بان تعمل دون توفير قواها فقد كان عليها ان تبني عشها العائلي ، وتحملت جميع انواع الحرمان لتنشئة ابنائها وتحطم قلبها الحساس عندما لفظ ابنها كريستو انفاسه بين ذراعيها في ١٨ حزيران عام ١٩٢٣ ، ومع ذلك فلم تنجرف مع الالم واليأس ٠

وفي عام ١٩٢٥ عندما قتل الجلادون صهرها تودور في ادارة البوليس ، ادركت اليزابيث ازميرليفا ان عليها ان تحيا ، وان الحياة كفاح ، وعندما فقدت ابنها الثاني توما في صيف ١٩٣٥ لم يكن قد بقي لديها شيء من الدموع ، ولكنها كانت لا تزال تملك القوة للكفاح من اجل هؤلاء الذين يحيون ، وكان يجب ان يحيوا ٠ كان عليها ان تشاهد توقيف ابنائها والتفتيشات الدقيقة الكثيرة في منزلهم ، والسنوات الصعبة التي بقيت ابنتها خلالها دون عمل ، اذ رفضت وزارة التربية والتعليم الفاشية تعيينها ٠ وكانت الوحيدة بين مئات امهات المعتقلين التي رافقت ابنها دونتشو حين نقله بوليس آل كوبورغ الى احد المعتقلات ، رافقته لا لتتوجع وتطلب الرحمة ، وانما احتجاجا على الارهاب الفاشستي ٠

وكانت دوما ، ببسمتها الطيبة ، بسمة الامومة ، تستقبل في منزلها ، شارع اوفتشي بولي ٦٦ ، الذي اصبح فيما بعد شارع تشيرنا فودا ٢٤ ، جميع الذين كانوا يجيئون لكي يشاهدوا في اية شروط عاش وعمل الشاعر البروليتاري الكبير ٠

وكان رفيقها الامين ، ديميترا زميرليف يتحمل

بمثل صبرها وثباتها ضربات القدر الرهيبة ، لقد كان رجلا اميل الى الطول ، نحيلا ، ذا عينين جميلتين وجبهة عريضة • لم يكن يفقد ابدا حضور ذهنه ، وقد عرف دوما كيف يمتلك نفسه ، فلا ينهار • وكان ، هو الذي اعتاد العمل والحرمان منذ نعومة اظافره ، يعاون ابناءه في النضال من اجل مستقبل اسعد • ولكنه لم يشاهد هذا المستقبل ولم يستطع ان يحيي « عيد اخوته » انما لم يشك لحظة واحدة في ان هذا العيد سيأتي قريبا •

عضو الحزب الشيوعي البلغاري

في ربيع ١٩٢١ اصبح سميرننسكي عضو الحزب الشيوعي البلغاري ، بناء على اقتراح خلية الحزب لدى منظمة الشبيبة الشيوعية • وقد صوت المجتمعون الذين طرحت مسألة انتسابه عليهم بالاجماع لصالحه ، واستقبلوه بحماسة •

كان سميرننسكي دوما دقيقا ، وقاسيا في تنفيذ مطالب الحزب ، وادى مهماته بكل جدارة • ولم يحاول مطلقا ان يتهرب من العمل مهما كان صعبا • وكذلك كان شأنه عندما يأخذ بكتابة اشعاره ، وتأليف كراسات وقصص لدار النشر التابعة للحزب ، وعندما كان عليه ان يلصق بيانات ويوزع مناشير او يبيع صحفا ومنشورات •

وفي ربيع ١٩٢١ اصيب سميرننسكي بالحصبة التي انهكته • ولكن ما كتبه في ربيع هذا العام نفسه يؤكد ان سمير ننسكي لم ينقطع عن الكتابة حتى اثناء مرضه الذي سمره الى الفراش قرابة شهرين • وعندما استطاع مغادرة غرفته واخذ يحضر الاجتماعات ، ويساهم في الحملات ، كان لا يزال يشعر بنفسه ضعيفا • وقد لاحظ ذلك المسؤولون في الحزب فبادروا الى ابعاده لمدة من الزمن ، عن مهامه في المدينة التي كانت تتعبه كثيرا وارسلوه الى الريف في قرية تتوسط « الريلا » وهناك وجد سميرننسكي وقتا كثيرا للتنزه والقراءة والكتابة •

وفي الرابع والعشرين من ايار عام ١٩٢١ قامت الرجعية باستفزاز منحط ، عندما رمى احد عملائها قنبلة على اولاد كانوا يمرون في الشوارع ، فتجمهرت عصابة من الطلاب ، من ابناء كبار الاقطاعيين ، واخذوا يصرخون ، كما لقنوهم من قبل ، بان هذا اعتداء شيوعي • وهاجم الاستفزازيون ، بحماية البوليس ، بيت النقابات حيث كان كثير من الشيوعيين والعمال ، ولما اخفق الهجوم رجعوا على اعقابهم وهم يهتفون : « الى النادي ، قرب جسر الاسود ! » وهناك هاجموا الشيوعيين الذين كانوا موجودين في بيت الحزب وساندهم البوليس بذلك ، فحطموا المكاتب ، ومزقوا الاوراق ، والمصنفات ونثروا الصحف ، والمجلات والكتب ثم اضرموا فيها النار •

لقد كان حريق النادي المركزي للحزب الشيوعي في صوفيا اولى الاعمال الارهابية التي قامت بها الفاشستية البلغارية المهتاجة • لقد كان هذا الاستفزاز مناسبة ليمتحن الفاشستيون تيقظ حكومة ستامبوليسكي ولكن هذا الاخير لم يفهم المرمى السياسي الكبير لهذا الاستفزاز ، وبدا مسرورا من ذلك •

وجه سميرننسكي سهام سخريته ضد هذه الرجعية الصاعدة ، ضد حكومة المزارعين العمياء • واخذ يثير الحماسة الثورية في الجماهير ، والامال المضيئة في النضال بقيادة الحزب الشيوعي ، والاهمية البطولية العالمية لثورة اكتوبر العظمى • وفي هذه الفترة كتب « غضب العبيد » و « ربيع العبيد » و « كريستوبوتيف » و « بروليتاريون » و « موسكو » و « ارواح بلا اسماء » •

وعاد سميرننسكي الى صوفيا ، وعمل في تحرير « بلغاران » ولمع في مهنته ، فهو يعرف كيف يحذف الزوائد حاسبا كبرياء المؤلف ، وهو يعرف كيف يخرج قصيدة جديدة بالظهور في الصحيفة وكان يساعد الناشئين • ولكن مهنته هذه لم تمنعه عن عمله في دور نشر الحزب ، وهو يمضي سهراته في نادي الحزب حيث يجتمع باصدقاء يتناقش واياهم ويتحدثون عن السياسة والادب ويصغي من حين لاخر ، الى تقرير •

ولكن بعد حريق النادي ، كان على قادة الحزب ان يشددوا الحراسة على سائر الممتلكات الحزبية ، وكانت اغلاها مطبعة الحزب الموجودة في قلب حي « تري كلادنتسي » البروليتاري ، غير بعيد عن المكان الذي يقطنه سميرننسكي الذي كان يقوم غالبا بحراستها مع رفاقه العشرة الذين يؤلفون فرقته • وكان سميرننسكي وهو طالب الحربية القديم ، يمرن رفاقه على اطلاق النار وغير ذلك من التمارين العسكرية •

وفي خريف عام ١٩٢١ تحسنت حالة عائلة ازميرلييف المادية تحسنا محسوسا ، فقد كان الاب يربح ، وازدادت مرابح توما وكريستو ، وانهت ناديجدا دراستها الثانوية واخذت تربح هي بدورها • وكان دونتشو على اهبة انهاء دراسته الثانوية • وكانت جذور الحزب تتغلغل اعمق فاعمق وسط جماهير الشغيلة واصبح افضل المثقفين واشرفهم واكثرهم اخلاصا اعضاء في الحزب او محبذين واصدقاء •

كان سمير ننسكي قد اصبح شاعرا مشهورا محترما ومحوطا بالاعجاب • وكان محررو الصحف الشيوعية يبحثون عنه ويسألونه الكتابة ، وكان الشاعر الفتى يعتبر هذه المطالب واجبات القاها الحزب عليه • فهو يكتب دون

انقطاع ، بنشاط وسرعة ٠ وهو يحضر ديوانه الجديد الذي تكامل فيه ايديولوجيا وادبيا ٠ وهو يوسع معارفه الماركسية - اللينينية ، بالاضافة الى اهتمامه الشديد بقضايا الثقافة والادب ، وفي اواخر شباط من عام ١٩٢٢ ظهر ديوان « فليطلع النهار » وهو يسجل مرحلة جديدة في تطور الشعر الثوري الواقعي ٠ وباستطاعتنا القول انه نفذ منذ اليوم الاول لصدوره ٠ واعيد طبعه مرة ثانية ، وضوعف عدد النسخ ، في تشرين الثاني من العام نفسه ٠ ولكن الغرور لم يجد طريقا الى نفس الشاعر الذي واصل عمله بنفس الحماسة والاخلاص ٠

وحوالي منتصف آب شب حريق كبير في الريلا ٠ واخذ حطابو « رادويل » فؤوسهم واتجهوا لاطفائها وذهب سميرننسكي هو الاخر مع فريق ٠ كان صعود الجبل في الليل متعبا ، وكانت النار تفتك على علو الفي متر ٠ وكتب الشاعر بهذه المناسبة قصة صغيرة مليئة بالحياة والخطوط اللاذعة ضد عائلة كوبورغ والبورجوازية الكبيرة ٠

تعافى سميرننسكي واستعاد قواه من جديد ، وراوده حلم زيارة الاتحاد السوفييتي ليطلع على الحياة الجديدة وينشق هواء البلاد العظيمة التي رسمت طريق النجاة للبشرية العاملة ٠ ولم يكن بامكانه ان يقوم بهذه الرحلة بشكل قانوني ، فتوجه الى « بورغاس » كي يتجه منها ، خفية ، الى الاتحاد السوفياتي بمساعدة رفاقه ، عابرين البحر الاسود ٠ ولكن هذه الرحلة لم تتحقق ٠ فعاد من جديد الى الحياة اليومية الفائرة ٠ كانت البورجوازية تنهض من كارثتين وطنيتين وتحاول الاستيلاء من جديد على الحكم ٠٠ وكانت سياسة حكومة المزارعين مكروهة من عائلة كوبورغ ومن الملكية عموما ٠ اذ ان حكومة تحاول ان تقوم ببعض الاصلاحات الاجتماعية لا تستطيع ان تشبع جشع الرأسمال النقدي والصناعي، ولكن اخوف ما كان يخافه هذا الرأسمال هو هذا التوسع الجماهيري المتسارع الذي اصبح يلازم الحزب الشيوعي البلغاري ، والف قادة البورجوازية « الجبهة الدستورية » ، وحاولوا باعمال قانونية مختلفة ان يحاربوا حكومة المزارعين ولكن الجماهير كانت تدعم اتحاد المزارعين بقيادة ستامبوليسكي ، والحزب الشيوعي البلغاري ٠ واذ ادرك قادة البورجوازية ان وصولهم الى الحكم غير ممكن عن طريق شرعية ، ساروا في طريق المؤامرات ٠ وقد حذر مناضلو الحزب الشيوعي البلغاري ومسؤولوه اتحاد المزارعين البلغار من هذه المؤامرات ولكن ستامبوليسكي ومساعديه المقربين ، وبينهم فريق من عملاء البورجوازية ، لم يلقوا لذلك سمعا ٠ وخلال الاستفتاء الذي لجىء اليه للحكم على المسؤولين عن الكوارث الوطنية عام ١٩٢٢ ، واشترك فيه المزارعون والشيوعيون معا ، ادركت البورجوازية ، بتجربتها الخاصة ، مدى قوة العمال والفلاحين مجتمعين ٠ ولكن قادة الاتحاد الزراعي لم يتوصلوا الى فهم ذلك واعتقدوا انهم ، بعد الاستفتاء ، قد سحقوا الى الابد ، البورجوازية المسؤولة عن الكوارث الوطنية ، فهاجموا الحزب الشيوعي البلغاري ٠

وعززت الحراسة على اماكن واندية الحزب ٠ وكان سميرننسكي في عداد الحرس غالبا واقترح على الحزب اصدار مجله ساخرة تقدميه معادية للرجعية ، غير حزبية ، تجمع شمل هؤلاء التقدميين الذين لا يريدون ، بسبب اختلاف وجهات نظرهم ، المساهمة في جريدة حزبية ٠ ونا لسميرننسكي موافقة اللجنة المركزية للحزب الشيوعي البلغاري ٠ وظهر في ١٨ تشرين الثاني ١٩٢٢ اول عدد من « ماسكاراد » وتجلت فيه موهبة سميرننسكي كمحرر وخبرته كمدير يعرف كيف يربح المساهمين وكيف يرتب مع جميع الكتاب الواقعيين التقدميين دون ان يتراجع خطوة واحدة عن الخط الاساسي المعادي للرأسمالية وعلى اثر الاستفتاء الشعبي، حوالي نهاية عام ١٩٢٢ ، عندما وجهت حكومة المزارعين ضرباتها للحزب الشيوعي البلغاري ، وجه سميرننسكي سهام اشعاره ضد هذه السياسة الخاطئة المخربة ٠

كان قد اصبح الشاعر المفضل في بلغاريا باسرها ٠ ولكن قلة من الناس كانت تعلم من هو في الحقيقة ، وكان المعجبون به في الاقاليم يتمثلونه رجلا تقدمت به السنون ٠

كان البروليتاريون في صوفيا وحدهم يعرفونه ٠ ففي هذه المدينة شب ، وتكونت شخصيته كاتبا ومناضلا وكان هو يحب العاصمة ، ويحب طبقتها العمالية المجيدة التي اعطت جورج ديميتروف ، كان يحب فقراء صوفيا ، وحيه البروليتاري المناضل ٠ كان يكتب اشعارا نقدية ، وبدأ يفضح فيها حكامها البورجوازيين الذين ينبهون السكان الفقراء ولا يصنعون شيئا من اجل بناء المدينه وتجميلها ٠

وعندما جرت الانتخابات البلدية في كانون الثاني من عام ١٩٢٣ لم يقف سميرننسكي موقف اللامبالاة من هذا الحدث في حياة اكبر مدينة بلغارية ٠ فقد فضح كل ما كان مهترئا في السياسة البلدية لحكومة المزارعين ، هذه السياسة التي لم تكن تختلف في الواقع عن سياسة حكام العاصمة القدامى التابعين لاشد الاحزاب الرجعية ٠ وقد ساهم سميرننسكي طواعية بكل قوته في هذه

الانتخابات خاصة وان المرشح الاول للحزب الشيوعي البلغاري كان جورج ديميتروف ٠

بعد انتخابات كانون الثاني اخذت حكومة ستامبوليسكي بالاستعداد للانتخابات التشريعية التي كان يجب ان تتم في الربيع ٠ وكانت الحملة الانتخابية في اوجها ٠ واعتقدت حكومة المزارعين انها بتطبيقها الاساليب البورجوازية القذرة ، ستحصل على الاغلبية الساحقة وستثبت لجماهير « اليسار » وجماعة «اليمين» اي للشيوعيين ولانصار الجبهة الدستورية قوتها التي لا تقهر ٠ واستعد الشيوعيون لهذه الانتخابات بقوة ونشاط وكذلك فعلت الاحزاب البورجوازية التابعة للجبهة ٠

مرض الشاعر وموته

كان الفتي يستشعر كثيرا من القوة ، وكان يعتقد انه لا يزال قادرا على مواصلة العمل هكذا ٠

وفي الرابع من نيسان عام ١٩٢٢ ، حوالي المساء ، هبط سميرننسكي الى الكهف للبحث عن فحم ٠ كان يتمتم لحنا وهو يضرب على قطعة كبيرة من الفحم لتكسيرها ٠ وما ان رفع ذراعه حتى خيل اليه كأن شيئا ينفجر في صدره ، وبصق دما ٠ فراعه ذلك ، وشحب وجهه ، وصعد ليروي لاسرته ما جرى له ، فانتابها القلق ، واكتشف الطبيب الذي فحصه بؤرة سلية في ذروة الرئة اليسرى ٠

ومضى يومان اخذ بعدهما سميرننسكي يتحدث عن مرضه في معرض للدعاية ـ ولم يكف عن الاهتمام بمجلة « ماسكاراد » ، وكان المحررون والمساعدون يزورونه في بيته ، فيسألهم عن الاحداث السياسية الداخلية والخارجية ، ويوجههم حول العمل في الاعداد التي ستصدر ، ولا يتوقف عن الكتابة بنفسه ٠

وفي ٢٧ نيسان عام ١٩٢٣ ، جرت الانتخابات التشريعية ونالت حكومة المزارعين اغلبية ساحقة ٠ واغرى ستامبوليسكي كل جهازه الاداري والبوليسي بالحزب الشيوعي البلغاري ٠

ونصح الطبيب سميرننسكي بمغادرة صوفيا للحياة في الريف ، فاستأجر اهله شقة في غورنا ـ بانيله ٠

وفي حضن هذا الهدوء ، والهواء النقي ، اخذ سميرننسكي يستعيد صحته ، محاطا بعناية اهله ٠ كان مرحا ، يفكر بالتنزه في الحدائق والحقول المجاورة ، ويتحدث عن العودة الى صوفيا ليهتم بالمجلات وخاصة « ماسكاراد » ٠

ولما علم قادة الحزب الشيوعي البلغاري بمرض شاعر البروليتاريا ، خصصوا له مبالغ تساعده على الاستشفاء ، ونصحه الاطباء بان يبقى مستلقيا ، وان يترك النافذة مفتوحة ، ولا يقلق ، ولا يعمل ، ومع ذلك فقد كان من عادته ان يتمشى في الغرفة ولا يطيل مدة استلقائه على الفراش ، وكان عندما يتوقف امام النافذة تثور اعصابه وهو يرى كيف يستغل المتعهد فريقا من البنائين الذين يشيدون بيتا قبالته ويشتمهم دون مراعاة ـ ومن جهة اخرى فقد كان يستنكر السياسة الارهابية التي تقوم بها حكومة المزارعين ، ويغضب لذلك ويتابع الصحافة بانتظام ويسجل بشكل محموم مواضيع شعرية او نبذا تمر بخاطره ٠

وفي عدد صحيفة « ملاديش » ـ الشبيبة الصادرة في ٢٥ ايار عام ١٩٢٣ ظهر له « قصة السلم » هذه القصة التي ظهرت بوضوح كالدعوة الى الثبات واليقظة في ايام الدكتاتورية الفاشستية الوحشية ٠ وفي ساعات المصاعب المادية ، والارهاب البوليسي ، والتحقيق الرهيب كان الوف الشيوعيين والكومسومول يتذكرون هذه القصة المرموقة ٠

وفي صباح ٥ حزيران ، استيقظ باكرا ، سعيدا بالحياة ٠ وطلب من شقيقته بان لا تزعجه اذ انه قرر ان يكتب ٠ فرتبت له الغرفة والطاولة وذهبت الى المطبخ لتهيء له غذاءه ، كانت قد تركت اخاها جالسا الى طاولته التي انتشرت عليها الصحف واوراق الكتابة ٠ وكان من عادة سميرننسكي عندما يكتب شيئا ان يقرأ على اهله ٠ وانتظرت ناديجدا ان تسمع شيئا جديدا عندما تنهي طهي الطعام ٠ واسرعت كي لا تتأخر عن موعد غذائه ، وكي تتحدث قليلا الى اخيها قبل فترة الاستراحة بعد الطعام التي نصحه بها الاطباء ٠

وعند الظهر كان الطعام جاهزا ، ودخلت غرفة اخيها ، منتظرة ان تراه جالسا الى طاولته امام اوراق مسودة بالكتابة ، ولكن المريض لم يكن هنا ٠ كان ممددا على سريره مزرق الوجه دون حركة مسمر النظر نحو الباب ، مليئا باليأس ، والالم ٠ توقفت اخته كما لو سمرت في مكانها ، وبدت الوسائد مغمورة بالدم ٠ فارتمت عليه واخذت رأسه بيديها ، ثم قربت طستا وسألته ، ولكنه اشار لها انه لا يستطيع ولا يجب ان يتكلم ٠ وعلى الارض ، المبقعة بالدم ، كانت تنتشر وريقات لم يفكر احد في تلك اللحظة الاليمة ان يلمها لقد كانت ، في الغالب ، السطور الاخيرة من مؤلفات سميرننسكي الملهمة ٠

ـ البقية في العدد القادم ـ

٤ ملايين شخص فروا من المانيا الشرقية الى المانيا الغربية

تقرير هام عن الاحكام التي صدرت بحق الالمان الفارين

تلقت الجهات المختصة تقريرا هاما ارسلته هيئة شبه رسمية باسم هيئة المانيا التي لا تتجزأ والمؤلفة من كبار رجال القضاء والقانون وحملة لواء الدفاع عن حقوق الانسان ويتضمن التقرير وقائع رسمية مستمدة من اجراء المحاكمات ومن اقوال شهود العيان عن فظائع منطقة الاحتلال السوفييتي في المانيا الشرقية وقد ارسل هذا التقرير الى جميع الهيئات الرسمية والى هيئة الامم المتحدة .

ويقول مخبر الصحف ان التقرير تضمن ما يلي :

باسم الرعايا الالمان في برلين الشرقية والمنطقة الالمانية المحتلة من قبل السوفييت الذين لا يستطيعون ان يسمعوا اصواتهم (الهيئة الرسمية لالمانيا التي لا تتجزأ) يرفعون شكواهم ضد الاغتصابات الخطيرة والدائمة لحقهم الطبيعي في البقاء والحرية .

ويطالبون بحرية الانتخابات وحرية السكن وحرية الانتقال كما هو منصوص عنه في المادة ١٣ من بيان حقوق الانسان والمعلن من قبل الجمعية العمومية في هيئة الامم المتحدة بتاريخ ١٠ كانون الاول من عام ١٩٤٨ .

ان هيئة المانيا التي لا تتجزأ تتجه الى اعضاء لجنة حقوق الانسان باسم جميع الالمان بالتحقيق واعتبار الحالة اللا انسانية في منطقة الاحتلال السوفياتي في برلين الشرقية اغتصاب دائم لحقوق الانسان وان المواطنين الالمان المقيمين في منطقة الاحتلال السوفييتي بما فيها برلين الشرقية هم في حالة لايستطيعون ممارسة الحقوق المعلن عنها في (بيان حقوق الانسان) وان الالمان الذين يودون السكن في المنطقة التي يختارونها في وطنهم باعتبار ان هذا الحق محترم فانهم يمنعون بالقوة ويضربون بصورة غير انسانية ويسجنون .

١ – ان سلطات منطقة الاحتلال السوفيتي في المانيا يمنعون بقوة السكان من السفر الى المانيا الاتحادية او الهجرة اليها ، وقد اصدروا قانونا بان كل من يحاول مغادرة منطقة الاحتلال يعتبر فارا ويجازى بالسجن الطويل الامد ، حتى ولو كانت الغاية من الانتقال زيارة الاقرباء ولو بسبب المرض او الوفاة .

٢ – عندما يريد المان منطقة الاحتلال السوفيتي الحصول على حريتهم فهم مرغمون على مغادرة بلادهم مغامرين بحياتهم . ومنذ تشكيل حكومة المانيا الديمقراطية المزعومة في عام ١٩٤٧ وحتي نهاية عام ١٩٦١ دخل منطقة المانيا الغربية ما يقارب الاربعة ملايين شخص . ولم يتمكنوا من نقل متاعهم واموالهم التي احتجزت من قبل قوات الاحتلال السوفيتية .

ومنذ ١٣ آب ١٩٦١ وهو اليوم الذي تم بناء الجدار تمكن اكثر من ١٣ الف من مواطنينا الهرب والالتجاء الى المانيا الغربية الحرة .

٣ – ومنذ ١٣ آب ١٩٦١ تم اخراج اكثر من ٤ آلاف شخص من بيوتهم مع متاعهم واغراضهم بالقوة وادخلوا الى قلب برلين المحتلة من قبل السوفييت ، يضاف الى ذلك اربعة آلاف شخص تم اخراجهم من دورهم بالقوة في جميع المنطقة السوفيتية المحتلة ، وهؤلاء كانت بيوتهم تقع في مناطق الحدود الفاصلة .

وفي ٢٠ ايلول ١٩٦١ تم طرد ٢٥٠ عائلة من دورهم وهم الذين كانوا يقطنون بمنطقة (هارتزرشتراسة) في برلين الشرقية وفي شارع (شبيت بروكه) .

حق البقاء والحرية

١ – قبل تاريخ ١٣ آب ١٩٦١ كان ينتقل يوميا ما يقارب نصف مليون مواطن بين برلين الشرقية وبرلين الغربية ، لان مدينة برلين كانت تؤلف وحدة كاملة للعلاقات العائلية والصداقة والمهنة .

وبتاريخ ١٣ آب ١٩٦١ اقدمت سلطان منطقة الاحتلال السوفيتي في برلين على بناء حائط وقسمت بذلك بصورة غير شرعية مدينة تحتوي على ٣ر٣ مليون من السكان ، فان سكان برلين الغربية اصبحوا ممنوعين بالقوة من دخول برلين الشرقية كما حرم على سكان برلين الشرقية من دخول برلين الغربية قطعا .

٢ – ان بوليس منطقة الاحتلال السوفييتية يطلق النار على الرجال والنساء والاولاد الذين يحاولون في حالة من اليأس النجاة بانفسهم ودخول برلين الغربية من فوق الجدار او من المناطق المحددة للعبور والتي جرى تقويتها بالاسلاك الشائكة والحراسة المشددة بالمدافع النارية وحفر الخنادق وزرع الالغام وان من يقع حيا بين ايدي حرس منطقة الاحتلال السوفياتي ينال عقوبة الحبس الطويل الامد مع الاشغال الشاقة .

٣ – وفيما يلي امثلة على الاحكام التي صدرت بحق بعض الشباب .

– في ١٥ ايلول ١٩٦١ جرى الحكم على خمسة اشخاص بالسجن وبمدد مختلفة منها المؤبد .

– (ريزاك) طالب عمره ١٧ سنة حكم بالسجن المؤبد – كارتن شليكر ، عامل ١٧ سنة حكم بالسجن المؤبد (ليهمان) بائع مفاتيح ١٨ سنة حكم ١٢ سنة – ريدجر دهان ١٨ سنة حكم ١٢ سنة هوبغز طالب ١٧ سنة حكم ٦ سنوات ٠

وفي الثامن من شهر آب ١٩٦٢ حكم على سبعة شباب بالسجن لمدد مختلفة مع الاشغال الشاقة وهم ريتشارد كوثر ١٦ سنة حكم ١٠ سنوات – كلودخوشتا ١٨ سنة حكم ٨ سنوات – جيرهارد بليشميد ١٧ سنة حكم ٧ سنوات – يورجين لفيجل ١٨ سنة حكم ٦ سنوات – كلاوس كوثر ١٨ سنة حكم ٦ سنوات نوربرت لينك ١٧ سنة حكم ٣ سنوات – الانسة راوناتي ليندناو ٢١ سنة حكمت ٦ سنوات ٠

ومنذ تاريخ ١٣ آب ١٩٦١ حتى ٣١ آب ١٩٦٢ تمكنا من معرفة هوية اربعين شخصا دفعوا حياتهم او توفوا متأثرين بجراحاتهم الخطيرة لمحاولتهم الوصول الى منطقة المانيا الحرة في برلين الغربية ومن بين هؤلاء : انكو كروجو ٢١ سنة حيث حاول بتاريخ ٩٦١/١٢/١١ اجتياز نهر سبري الذي يقطع برلين سباحة للالتقاء بجدته وخطيبته في برلين الغربية ٠ – كلاوس بروسكه ٢٣ سنة نجح في ١٩٦٢/٤/١٨ بخرق الجدار بواسطة كميون شحن حيث اراد الالتقاء بزوجته ٠

وهذه قائمة اخرى لضحايا الحائط والمنطقة الفاصلة الذين تمكنا من معرفة بعضهم :

– بتاريخ ٩٦١/٨/١٩ (رولف اوريان ٤٦ سنة قفز من الطابق الاول من بناية للسكن قائمة في شارع بروناور ٠ وبتاريخ ٩٦١/٨/٢٢ السيدة ايدا سيكمان ٦٠ سنة توفت وهي تقفز من الطابق الثالث من منزلها في شارع برنادر ، وبتاريخ ٩٦١/٨/٢٤ كونتر لوفن ٢٤ سنة قتل في برلين عندما كان يحاول اجتياز بركة هامبولد ، وبتاريخ ٩٦١/٩/٣ اكسل بروكنر قتل عندما حاول الانتقال الى برلين الغربية ، وبتاريخ ٢٥ /٩٦٢/٩ السيدة (اولغاسيكلر ١٨ سنة توفيت وهي تحاول الهرب بعد ان قفزت من الطابق الثاني من منزلها بشارع بروناور ٠ وبتاريخ ٩٦١/١٠/٤ برندلوتزر ٢٢ سنة مات على اثر طلقات الحرس السوفييت عليه وهو يقفز من سطح منزله في شارع بروناور ٠ وبتاريخ ١٩٦١/١٠/٤ بناء على اقوال شهود عيان تم اطلاق النار على برند لوتزر بعد القاء القبض عليه وهو واقف على سطح الدار ٠ وبتاريخ ١٩٦١/١٠/٥ اودو دواليك ٢٥ سنة غرق في نهر سبري اثناء محاولة اجتيازه الى المنطقة الغربية ٠ وفي شهر تشرين الثاني ١٩٦١ لوثر ليهمن ٢٠ سنة قتل وهو يحاول اجتياز بحيرة يونك فيرنزيه ٠ وبتاريخ ١٩٦١/١٢/٩ ديترفولفرت ٢٠ سنة قتل اثناء مساعدته لاحد اصدقائه في برلين الشرقية باختراق الحاجز للهرب الى برلين ٠ وبتاريخ ١٨ /٩٦٢/١ الانسة دوريث شميل قتلت في شارع ينبكروف ٠ وبتاريخ ٢٧ / ٣ / ٩٦٢ (هنز جرش) ٢٨ سنة قتل في شارع هايدلبرغ عندما كان يساعد احد اصدقائه للوصول الى برلين الغربية ٠ وبتاريخ ٩٦٢/٤/٩ فيليب هيلد ٢٠ سنة غرق في نهر سبري اثناء محاولة اجتيازه للوصول الى برلين الغربية ٠ وبتاريخ ١٩٦٢/٤/٢٩ هورست فرانك ٢٠ سنة قتل في شارع برلين رينيكر دوف ٠ وبتاريخ ٩٦٢/٦/٢٦ السيدة ارتاكلم ٥٣ سنة من منطقة بوتسدام غرقت اثناء محاولتها اجتياز نهرهافل قرب بحيرة ساكراد ٠ وبتاريخ ١٩٦٢/٦/٢٨ زيغفريد نوفكه ٢٣ سنة قتل اثناء محاولة عبور نفق حفر تحت الحائط ٠ وبتاريخ ١٩٦٢/٧/٢٥ فيرنز رويمان من مدينة برلين اصيب بجراحات خطيرة اثناء محاولة اجتيازه الحدود في منطقة تريبتاغد حيث توفي بعد ذلك متأثرا بجراحه ٠

٥ – حتى الاطفال والاولاد لم ينجو من العقاب ٠ بتاريخ ١٠ حزيران ٩٦٢ اثناء محاولة الهرب من برلين الشرقية وفي شارع سوركن فراي في تريبتاد اطلقت النيران على الطفل فولفكانك كلودية ١٢ سنة حيث اصيب في رئته وترك ملقى على الارض في ساحة اكثر من ساعة ثم توفي اثناء نقله الى المستشفى وبتاريخ ١٧ آب ١٩٦٢ عامل البناء بيتر فيشتر ١٨ سنة اصيب بطلقات نارية اثناء محاولة تسلق الحائط واصيب بجراح خطيرة وبقيت دماؤه تنزف مدة ساعة وهو ملقى قرب الحائط حيث توفي على اثر ذلك ٠

٦ – اعداد كبيرة من الشرطة ومن قوات منطقة الاحتلال السوفيتي يسعون للهرب للوصول الى المنطقة الحرة من وطنهم في المانيا الغربية ، وقد هرب الى المنطقة الغربية اكثر من ٥٢٧ فردا من الجيش الوطني الشعبي ومن حرس الحدود في الفترة الواقعة بين آب ٩٦١ وآب ٩٦٢ حيث نجحوا في محاولاتهم هذه الا ان ثلاثة منهم قد لاقوا حتفهم اثناء تلك المحاولات ٠

وقال التقرير ان الوقائع والارقام التي ورد ذكرها في هذه الوثائق يمكن في كل وقت اثباتها بالوثائق وبشهود العيان وان هذه الاغتصابات الخطيرة والمستمرة لحقوق الانسان في قلب المانيا واوربا تشكل خطرا على السلام العالمي ٠

لذلك فان هيئة المانيا التي لا تتجزأ ترى من واجبها نقل هذه المعلومات الى هيئة الدفاع عن حقوق الانسان وتنادي الضمير العالمي الممثل في هيئة الامم المتحدة آملين وضع حد لهذه الاوضاع الغير انسانية وان هيئة المانيا التي لا تتجزأ تأمل وتكون معترفة بالجميل اذا امكن ايجاد المساعدة المستمرة من البيان العام لحقوق الانسان المؤدية لمناصرة الشعوب التي تمس فيها حقوق الانسان ٠

النشاط الثقافي

تريف

الجمهورية العربية السورية

● **فئة الشباب الطيب اتفقت على انشاء دار للنشر تكون ملحقة بدار مجلة الثقافة ، غاية هذه الدار الجديدة نشر نتاج الادباء والشعراء في الوطن العربي ٠٠ وبخاصة في ربوع الجمهورية العربية السورية ٠**

خطوة طيبة رائعة نأمل لها التقدم والازدهار ٠

● الشاعر الاستاذ أنور الجندي عاكف في بلدته السلمية على نظم ملحمة شعرية تتضمن كل تجاربه ٠ الشاعر أنور يعتبر من المنتجين الاول للشعر في سوريا ـ هكذا قالت عنه مرة مجلة أصداء التي كانت تصدر في دمشق عام ١٩٤٥ ٠

● **النادي الثقافي في السلمية بدأ نشاطه الادبي ، فقدم أمسية شعرية ممتازة في الشهر المنصرم حضرها الكثير من الادباء والشعراء في المنطقة ٠**

● الاديب والشاعر والقاص الاردني الكبير الاستاذ عيسى الناعوري قدم للطبع روايته الجديدة « ليلة في القطار » وستصدر هذه الرواية عن دوار مجلة الثقافة **قريبا** ٠

● **الاستاذ وجيه بيضون يضع اللمسات الاخيرة لكتابه الجديد (الاسكنري الاخير) ٠ أو (أنا تول فرانس) ، الكتاب سيطبع بعد أيام ومن المنتظر أن يكون درة الموسم الادبي ٠**

● « نصف الرجل الميت » مجموعة قصص جديدة للاستاذ محمود الخطيب ستصدر قريبا عن دار الطليعة **في بيروت** ٠

● **صدر عن دار دمشق مجموعة شعرية جديدة عربها عدنان بغجاتي تحت عنوان « لوركا » ٠ في هذه المجموعة دراسة مستفيضة عن الشاعر الاسباني الذي ذهب ضحية الحرب الاهلية الاسبانية ٠ والجدير بالذكر أن شاعرية لوركا العظيمة تتجلى في قصائد هذه المجموعة المنسوجة من الزنبق والرمل والثلج ٠ المجموعة من سلسلة روائع الادب الغربي التي تصدرها وزارة الثقافة والارشاد القومي ٠**

● الاستاذ سعد صائب **سيقوم بزيارة** خاطفة الى دير الزور لرؤية **الاهل والاصحاب** ٠ **ومن** المنتظر احياء أمسية أدبية له ٠ سيصدر للاستاذ سعد خلال الموسم الادبي الجديد كتابا تحت عنوان « خطرت فكر » وذلك عن احدى دور النشر في بيروت ٠ كتب المقدمة الاديب **سعيد عقل** ٠

● **طلعة الرفاعي الدكتورة الشاعرة غادرت دمشق الى بيروت في زيارة خاطفة تتعلق ببعض الاعمال الادبية ٠**

● الاماني ٠٠٠ مجلة جديدة نصف شهرية ، سوف يصدرها الدكتور « محمد الرفاعي » قريبا ٠ وبحلة أنيقة ٠ نرحب بالزميلة الجديدة ونرجو لها التقدم والازدهار ٠

● **الاستاذ هاشم صيادي مدير ثانوية ابن رشد في حماه عين مديرا للمركز الثقافي في حماه ٠ عشاق الادب والكلمة الرقيقة في حماه ينتظرون بفارغ الصبر الامسيات الحلوة التي سيقيمها المركز ٠**

● « مدينة الانهر السبعة » رواية جديدة للاستاذ مطاع صفدي تصدر قريبا ٠ كما سيصدر له في مطالع الموسم الادبي الجديد « مصير الايدولوجيات الثورية » الذي يعتبر تتمة لكتابه الاول « الثوري والعربي الثوري » ٠

● **بعد غيبة مريرة دامت أكثر من ست سنوات عاد الشاعر الكبير الاستاذ بدوي الجبل ٠ غصت دار نجله منير الاحمد بعدد كبير من رجالات السياسة والفكر والادب ٠ وسوف يقام للشاعر الكبير عدة حفلات تكريمية له ٠**

● في مطلع الشهر القادم سيقام في حمص مهرجانا للقصة بدعوة من المركز الثقافي العربي ٠ يشترك فيه وليد مدفعي ، ام عصام ، اسكندر لوقا ، قمر كيلاني ، ياسين رفاعية ، انعام المسالمة ٠

● **في حلة أنيقة صدرت للاسواق رواية الموسم الادبي الجديد للفنان جورج اسطفان تحت عنوان « غيامرة » وهي قصة عاطفية جرت حوادثها في باريس وبيروت ومدريد ٠**

● عاد الاستاذ خليل الهنداوي من جولته في بعض بلدان اوربا وقد رحبت الاوساط الادبية بالاستاذ خليل أجمل ترحيب ٠

الوان ....!

ألف تحية للوافد الجديد ، انها ٠٠ « ألوان » المجلة الفنية الجديدة التي اصدرها الصديقان الزميلان رجاء الشربجي وعدنان مراد ٠ وحملاها كل ما يملكان من ذوق فني مرهف ٠٠ وحس ناعم ٠٠ وورقة عالية في انتقاء موضوعات ملونة بأريج الفن ٠٠ وعطر الادب ٠٠ وتعب الصحافة ٠

ان مجلة « ألوان » وثبة جديدة في عالم الصحافة ، ونصبر أكيد لها ٠٠ وآخر نقطة في قلم الزميل عدنان مراد نرجو أن تكون في سبيل الافضل والاجمل والاحلى ٠

● **« الخمائل » المجلة الادبية أحيت مهرجانا للشعر في المركز الثقافي في حمص ٠٠ وقد اشترك في هذا المهرجان الشعري محي الدين الدرويش ، موريس قبق ، غسان طه ، نصر الدين فارس ، شكري هلال ٠ القى كلمة الافتتاح الاستاذ عبد المعين الملوحي ٠**

● الدكتور خالد الصوفي انتهى من ترجمة الفصول الاخيرة للكاتب « غي سينوار » الكتاب تحت عنوان « التوجيه المهني » سيصدر قريبا عن دار عويدات اللبنانية

● **صدر حديثا « عالمك العلمي العجيب » وهو من تأليف ماي دري فريمن وقد ترجمه نصري الجوزي وفائزة سعد الدين ٠**

● غادة السمان كتبت في روايتها الجديدة «٤٠٠» صفحة ما زال اسم الرواية حتى الان « المطلقة »

● **« الفئران » رواية القاص صلاح دهني المنتظرة ٠٠ تقع الرواية في ٣٠٠ صفحة ، وتروي حكاية قرية من حوران ، من خلال حياة بطل الرواية وهو شاب حوراني نزح الى بيروت واشتغل هناك ٠**

● الشاعر فاروق مردم وضع خمس قصائد جديدة في ذكرى ٢٨ ايلول الخالدة ٠

● **زكريا تامر صاحب « صهيل الجواد الابيض » القى قصة جديدة من اذاعة دمشق ٠ كانت هذه أول مرة يتحدث فيها زكريا من الاذاعة ٠**

● الدكتور حكمة هاشم سيقوم بتعريب كتاب « تكوين العقل الحديث » للكاتب الانكليزي « كرين برينتون » ٠ بتكليف من وزارة الثقافة والارشاد القومي ٠

● **الدكتور رفيق الصبان انتهى من ترجمة مسرحية « باخوس » لجان كوكتو ٠ المسرحية ستصدر قريبا ٠**

● هاني الراهب صاحب الرواية الفائزة بجائزة الاداب للموسم الادبي الراحل يعد مجموعة قصصية جديدة للطبع تحت عنوان « حكايات اسيان ابن الضحاك ، المجموعة ستصدر قريبا ▣

● **« البصائر والذخائر » كتاب لابي حيان التوحيدي ، يتألف من ثمانية أجزاء ، حقق منها الدكتور ابراهيم الكيلاني أربعة أجزاء ٠**

● تستعد ندوة الفكر والفن لافتتاح موسمها الشتوي المسرحي بمسرحيتين ، الاولى « تاجر البندقية » لشكسبير والثانية « ألاعيب سكابان » لموليير ٠ وضع الموسيقى التصويرية المرافقة لتاجر البندقية الاستاذ صلحي الوادي ٠٠ وستعزف باجمعها على القيثارات ٠٠ أما الاغاني فسينشدها أطفال صغار يرتدون الملابس الزرق كالملائكة ٠

● « فقدت ولدي » مجموعة قصصية جديدة للقاص مكرم عبد الرحن تصدر قريبا ٠

● وزارة الثقافة والارشاد القومي ما زالت تدرس مشروع اقامة مهرجان مسرحي لرائد المسرح العربي أبو خليل القباني ٠

● **الاديبة وداد سكاكيني تعد كتابين للطبع الاول دراسة مستفيضة عن « مي زيادة » والثاني عن « العامية والفصحى »**

● أقام المركز الثقافي في حماه أمسية شعرية حضرها جمهور غفير من المثقفين ٠٠ أحيا الامسية الشاعر منذر شعار ٠

● **محمد جميل بيهم يعتكف في مصيفه بقرية قرنايل لاعداد كتابه الجديد للطبع ٠ بدأ الاستاذ بيهم بتأليف الكتاب منذ عام ١٩٥٣ ٠**

● في المنتدى الاجتماعي بدمشق قدم محي الدين صبحي محاضرة جديدة بعنوان « المثقفون » عرض وحلل رواية سيمون دو بوفوار الاخيرة ٠ استمرت المحاضرة اكثر من ساعة ونصف ٠

الجمهورية العربية المتحدة

● **انتهى محمود تيمور من كتاب مسرحية جديدة عن طارق بن زياد سيقدم المسرحية على مسارح الكويت الجديد الاستاذ زكي طليمات ٠**

● اعتذر الكاتب الكبير « توفيق الحكيم » عن زيارة موسكو وبعض مدن الاتحاد السوفياتي في الوقت الحاضر ٠

● **« فكرة وابتسامة » كتاب جديد ليحيى حقي ٠ مجموعة مقالات نشرتها جريدة المساء ٠**

● خلال الخريف القادم سيتعرف أدباء الجمهورية العربية المتحدة على الكاتب والشاعر جيمس ستيوارت ٠ الذي سيقوم بزيارة مصر ، للاتصال بأدبائها ٠٠ وللتعرف على التيارات الادبية فيها ٠

● **تترجم الآن في الاتحاد السوفياتي رواية الدكتور طه حسين « دعاء الكروان » الى اللغة الروسية ٠**

● « في الحب والحياة » كتاب يبحث في التربية والعائلة والمجتمع ٠ من تأليف المرحوم « سلامة موسى » صدر حديثا ٠

● **« الفتنة الكبرى » عرض لما رافق تطور الخلافة الاسلامية بعد وفاة الرسول « صلعم » يتضمن الكتاب شرحا واسعا لسياسة عثمان بن عفان الدينية والمالية حتى انتهاء خلافته ٠ الكتاب من تأليف الدكتور طه حسين وقد صدر حديثا ٠**

لبنان

● **رباعيات الشاعر الانكليزي الشهير ت ٠ س ٠ ايليوت ترجمها توفيق صايغ ، ووضع لها دراسة مطولة ، تناولت خصائص المؤلف وأثره في توطير الشعر المعاصر ٠**

● تنادى بعض اصدقاء فقيد الادب والصحافة اميل الخوري للقيام ببادرة طيبة جديرة بأدبه الجم لمناسبة ذكرى مرور سنة على غروبه عن الادب في الثامن من تشرين ٠

● **استقر رأي ليلى بعلبكي على « بلا عنوان » ليكون اسما لخواطرها التي تنشرها في بعض الصحف والمجلات ٠ ليلى بعلبكي ستحضر الى سوريا قريبا لتلقي قصتين جريئتين في ندوة الفكر والفن بدمشق ٠**

● انتهى عبد اللطيف شرارة من وضع كتاب عن اين حزم رائد الفكر العلمي الحديث ٠٠ وقد بين فيه اثر الاندلس في الصيال اوربه الى عهد النهضة ٠